الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامعي صالحي احمد-النعامة-

معهد العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم علوم العلام و الاتصال

مذكرة تخرج سنة ثانية ماستر اتصال وعلاقات عامة:

تحت عنوان :

وسائل وأساليب الاتصال الثوري في الجزائر

دراسة دراسة في وظائف الاتصال أثناء الثورة التحريرية

1962 / 1954

من إعداد الطالب:

دادو اسماعيل

تحت إشراف الأستاذ(ة):

د. سيرات بوحفص

أ د بلية بغداد	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي صالحي احمد-النعامة-	رئيسا
أ.د سيرات بوحفص	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي صالحي احمد-النعامة-	مشرفا و مقررا
أ..د مرين ابراهيم	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي صالحي احمد-النعامة-	ممتحنا

السنة الجامعية 2024/ 2025

شكر و تقدير

الحمد لله أولًا وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، على نعمه التي لا تُحصى،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خير مَن علّم وتعلّم.

وبعد،

فإن إتمام هذه المذكرة لم يكن ليتم لولا توفيق الله عز وجل، ثم دعم ومساعدة من حولي،

لذا أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى:

أ.د سيرات بوحفص مشرف هذه المذكرة،

على توجيهاته القيّمة، وملاحظاته الدقيقة، وصبره الكريم،

فجزاه الله خيرًا على ما بذله من وقتٍ وجهدٍ في سبيل إنجاح هذا العمل.

وأشكر أعضاء لجنة المناقشة الكرام،

على تفضّلهم بتقييم هذا الجهد، وتقديم ملاحظاتهم البنّاءة التي ستساهم بلا شك في تطويره.

كما أوجّه شكري إلى أساتذتي الأفاضل

الذين غرست فيّ محاضراتهم حبّ العلم، وفتحت لي أبواب المعرفة.

ولا يفوتني أن أشكر زملائي وأصدقائي،

الذين وقفوا إلى جانبي خلال مراحل إعداد هذه المذكرة،

بدعمهم المعنوي، وتشجيعهم المستمر، ومساعدتهم في كل لحظة عسر.

وأخيرًا، وليس آخرًا،

أشكر أهلي الغوالي، الذين كانوا لي السند الحقيقي،

فكانوا لي عونًا في السراء والضرّاء، ودعاؤهم لي كان خير زاد.

والله وليّ التوفيق.

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى من كانوا نورًا في دربي، وسندًا في طريقي،

أهدي هذا الجهد المتواضع...

إلى والديّ الكريمين،

اللذين لم يدّخرا جهدًا في دعمي وتشجيعي،

وكانا لي خير معينٍ في لحظات الضعف، وخير دافعٍ في لحظات التعب.

فجزاكم الله خير الجزاء، وجعل هذا التخرّج فخرًا لكم.

إلى أساتذتي الأفاضل،

الذين بذلوا عطاءً لا يُنسى، وفتحوا لي أبواب العلم والمعرفة،

فلكم منّي كل الامتنان والتقدير.

إلى إخوتي وأصدقائي،

الذين وقفوا إلى جانبي، شاركوني همومي وأفراحي،

فكانوا لي عونًا وسندًا في هذه الرحلة.

وإلى كل من ساهم، ولو بكلمة طيبة، في إتمام هذا العمل،

فلكم خالص دعائي أن يكلّل الله جهودكم بالتوفيق والنجاح.

.

المقدمة العامة

مقدمة

في سياق الحركات التحررية التي شهدها القرن العشرون، برزت الثورة الجزائرية (1954–1962) كواحدة من أكثر التجارب تعقيدًا وعمقًا، ليس فقط من حيث طبيعتها العسكرية أو بعدها السياسي، بل أيضًا من حيث بُعدها الرمزي والاتصالي. فبينما كانت البنادق تُطلق في الجبال والوديان، كانت الكلمة تُطلق في المساجد، والقصائد تُنشد في السهول، والإذاعات تبثّ من عواصم المنفى، والأغاني تُهمس في البيوت. وقد شكّل هذا التفاعل بين السلاح والكلمة نسيجًا اتصاليًّا فريدًا، جمع بين التراث المحلي والتقنيات الحديثة، ليُنتج خطابًا ثوريًّا قادرًا على توحيد شعبٍ مُهمَش، ومواجهة دولة استعمارية تمتلك أعتى آلة دعائية في عصرها. ومن هنا، يبرز موضوع "رسائل وأساليب الاتصال الثوري في الجزائر بين التقليدي والحديث (1954–1962): دراسة في وظائف الاتصال أثناء الثورة التحريرية "كمجالٍ غنيّ للتحليل التاريخي والاتصالي، يكشف عن كيفيّة توظيف الاتصال كأداة نضالية استراتيجية في سياق التحرر الوطني.

دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع مجموعة من الدوافع العلمية والوجدانية. فمن الناحية العلمية، يُعَدّ البُعد الاتصالي في الثورة الجزائرية – رغم أهميته – مجالًا لم يُستَكشف بعدُ بشكل كافٍ في الدراسات التاريخية الأكاديمية، إذ غالبًا ما يُختزل الاهتمام بالجوانب العسكرية أو السياسية، بينما يُهمَش الدور الحيوي الذي لعبته وسائل الاتصال في بناء الوعي الوطني وتعبئة الجماهير. ومن الناحية الوجدانية، يمثّل هذا الموضوع وسيلة لفهم كيف استطاع شعبٌ تحت نير الاستعمار أن يحوّل أدواته الثقافية البسيطة – كالشعر، الأغنية، المسجد – إلى أسلحة فاعلة في معركة التحرير. ولذلك، فإن دراسة هذا البُعد لا تكتسي أهمية تاريخية فحسب، بل أيضًا أهمية معرفية في فهم العلاقة بين الثقافة، الاتصال، والمقاومة.

تنطلق هذه المذكرة من إشكالية محورية تتمثل في السؤال التالي:

كيف ساهمت وسائل الاتصال التقليدية والحديثة في أداء وظائف الاتصال (التعبئة، التوجيه، التوحيد، التمثيل) خلال الثورة التحريرية الجزائرية؟

- ومن هذه الإشكالية، تنبع مجموعة من الأهداف:

الهدف الرئيسي :تحليل وظائف الاتصال في سياق الثورة الجزائرية من خلال دراسة تفاعل الوسائل التقليدية والحديثة.

- ✓ تبيّن المفاهيم النظرية التي تحكم الاتصال والإعلام الثوري.
- ✓ دراسة دور الوسائل التقليدية (كالشعر، الأغنية، المساجد، الزوايا) في نقل الرسائل الثورية.
- ✓ تحليل إسهام الوسائل الحديثة (كالإذاعة، المراسلات، الصحافة، اللاسلكي) في تنظيم العمل الثوري وتمثيله دوليًّا.
- ✓ تقييم الجهود المؤسسية (كوزارة التسليح والاتصالات) في تنظيم الاتصال الثوري.

تتوزّع هذه المذكرة على ثلاثة فصول رئيسية، تتبع مسارًا تحليليًّا من الإطار النظري إلى التطبيق الميداني:

-الفصل الأول :يتناول الإطار النظري والمفاهيمي للاتصال والإعلام الثوري، من خلال تعريف المفاهيم الأساسية وعرض النظريات المرتبطة بالاتصال الجماهيري في سياقات النزاع.

-الفصل الثاني :يركّز على الوسائل التقليدية للاتصال (الشعر، الأغنية، المساجد، الزوايا)، ويحلّل وظائفها في التعبئة والتحريض.

-الفصل الثالث :يستعرض الوسائل الحديثة (المراسلات، اللاسلكي، الإذاعة، الصحافة)، ويبيّن دور المؤسسات الثورية (خاصة وزارة التسليح والاتصالات) في تنظيم هذا الاتصال . وتختم الدراسة بخاتمة تلخّص النتائج وتستخلص الدروس المستفادة.

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي النقدي، الذي يجمع بين جمع المصادر الأولية (كالمذكرات، الوثائق، الصحف، أرشيف الإذاعة) وتحليلها في سياقها التاريخي، مع الاستعانة بالإطار النظري من علوم الاتصال لفهم وظائف الخطاب الثوري. كما استخدمت المنهج المقارن لدراسة التفاعل بين الوسائل التقليدية والحديثة، وتحديد نقاط القوة والضعف في كل منها .

-توجد بعض الدراسات التي تناولت جوانب من الموضوع، وإن لم تُعنَ به بشكل شامل. من أبرزها:

مذكرة الماستر لـــ سليمان بخليل بعنوان "الإعلام الثوري في الجزائر: دراسة في الخطاب والوظيفة(2003) "، التي ركّزت على الإذاعة والصحافة.

دراسة محمد حراث "الثقافة الشعبية في الثورة الجزائرية (2008) "، التي ناقشت دور الشعر والأغنية.

أطروحة الدكتوراه لـــ جيلبير مارتيني "La guerre d'Algérie et les moyens de communication"، التي حلّلت وسائل الاتصال من منظور فرنسي (1982) . إلا أن هذه الدراسات ظلّت جزئية، ولم تُقدّم رؤية متكاملة تربط بين البُعدين التقليدي والحديث في إطار وظائف الاتصال.

اعتمدت الدراسة على مصادر أولية وثانوية متنوعة، من أبرزها:

المصادر الأولية :مذكرات قادة الثورة (كـــ عبد الحميد مهري، أحمد طالب الإبراهيمي)، وثائق الحكومة المؤقتة، أعداد صحيفة "الجمهورية"، أرشيف إذاعة صوت الجزائر.

المصادر الثانوية :كتب متخصصة في تاريخ الثورة (كـــ محمد حراث، محمد عمار)، ودراسات في نظريات الاتصال (كـــ دينيس مكويل، هارولد لاسويل)، وأعمال المؤرخين الفرنسيين (كـــ جان ماري دومينيك، جيلبير مارتيني)

يقتصر البحث على الفترة الزمنية الممتدة من نوفمبر 1954)اندلاع الثورة) إلى يوليو 1962)الاستقلال)، وعلى الفضاء الجغرافي للجزائر، مع امتداد جزئي إلى تونس والمغرب (كقواعد خلفية للاتصال الخارجي). كما يركّز على البُعد الاتصالي في الثورة، دون الدخول في التفاصيل العسكرية أو الدبلوماسية إلا بقدر ما تخدم تحليل وظائف الاتصال.

- من أبرز الصعوبات التي واجهت هذا البحث:

- ✓ ندرة بعض المصادر الأولية، خاصة تلك المتعلقة بالاتصال السري (كالمراسلات المشفرة)، والتي لا تزال محفوظة في أرشيفات غير متاحة.
- ✓ صعوبة التحقق من بعض الروايات الشفهية المتعلقة بالاتصال التقليدي، بسبب غياب التوثيق المكتوب.
- ✓ ضيق الوقت المخصص لإعداد المذكرة، مما استدعى التركيز على المصادر الأساسية وتجنب التفريعات غير الضرورية.

الفصل الأول:

الإطار النظري والمفاهيمي للاتصال والإعلام الثوري

المبحث الأول: مفاهيم الاتصال والإعلام الثوري

المطلب الأول: مفهوم الاتصال لغويًّا واصطلاحيًّا

أولاً: المفهوم اللغوي للاتصال

لغويًّا، يُشتقّ مصطلح "الاتصال" من الجذر العربي "وَصَلَ"، الذي يحمل معاني الربط والوصول والانضمام. ويُقال: "اتّصل به" بمعنى "وصله" أو "أقام معه علاقة". ويشير ابن منظور في لسان العرب إلى أن "الوَصْلُ ضدّ القَطْع، وهو إيصال الشيء إلى موضعه" [1]. ومن هذا المنطلق، فإن مفهوم الاتصال في اللغة العربية يركّز على فكرة الربط بين طرفين، سواء كان ذلك ربطًا ماديًّا أو معنويًّا[1].

ثانيًا: المفهوم الاصطلاحي للاتصال

اصطلاحيًّا، يُعرّف الاتصال في الدراسات التاريخية والإعلامية بأنه:

"عملية نقل رسالة من مرسل إلى متلقٍّ عبر قناة معيّنة، بهدف التأثير أو التفاهم أو التبليغ، ضمن سياق زمني وثقافي محدّد"[2]

ويكتسب هذا التعريف أبعادًا خاصة في السياق التاريخي، إذ لا يُنظر إلى الاتصال كظاهرة تقنية فحسب، بل كـــفعل اجتماعي وسياسي يعكس موازين القوى، ويعيد إنتاج الخطابات الأيديولوجية، خصوصًا في فترات التحوّل مثل الحركات التحررية أو الثورات. ويؤكد المؤرخ الفرنسي روجيه

[1] ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط. 1، 1994، ج. 12، ص. 378 .

[2] هارولد دي لا سويل، نظرية الاتصال: من الفعل إلى المعنى، ترجمة:عبد الإله بلقزيز، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1992، ص. 67.

شارتييه أن "الاتصال في التاريخ ليس وسيلة نقل محايدة، بل هو مجال للصراع على المعاني والتمثّلات".[1]

المطلب الثاني: ماهية الإعلام الثوري

1- تعريف الإعلام الثوري

يُعرّف الإعلام الثوري بأنه "مجموعة الوسائل والأساليب التي تستخدمها الحركات الثورية أو التحررية لنشر خطابها السياسي، وتعبئة الجماهير، ومواجهة خطاب السلطة القائمة، بهدف إحداث تغيير جذري في البنية السياسية والاجتماعية [2].

ويتميّز هذا النوع من الإعلام بطابعه الهادف، التعبوي، والمضادّ، إذ لا يكتفي بنقل المعلومات، بل يسعى إلى "إعادة تشكيل الوعي" و"قلب موازين القوى الرمزية" [3]. ويشير ريجيس دوبريه إلى أن الإعلام الثوري ليس وسيلة فحسب، بل "استراتيجية وجود" للثورة نفسها، لأن "الثورة التي لا تُذاع لا توجد"[4].

2- أنواع الإعلام الثوري

يمكن تصنيف الإعلام الثوري وفق وسائله وطرائق اشتغاله إلى ثلاثة أنواع رئيسية:

أ. الإعلام المطبوع

---

[1] روجيه شارتييه، الثقافة الشعبية في فرنسا القديمة: بين الاتصال والمقاومة، ترجمة: جورج زيناتي، بيروت: دار الطليعة، 1987، ص. 24 .

[2] ريجيس دوبريه، الثورة والاتصال: مقدمة في نظرية الوسيط، ترجمة: سمير مروة، بيروت: دار الساقي، 1994، ص. 78.

[3] عبد الوهاب المسيري، موسوعة العنف الصهيوني: الإعلام كأداة حرب نفسية، القاهرة: دار الشروق، 2003، ج. 1، ص. 142.

[4] هابرماس، يورغن، الفضاء العمومي النقدي: تحولات المجال السياسي في المجتمع البرجوازي، ترجمة: نبيل علي، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2011، ص. 205 .

ويشمل المنشورات السرية، الصحف الحزبية، الكتيبات، والملصقات. وقد لعب هذا النوع دورًا محوريًّا في الثورات الحديثة، مثل الثورة الروسية (1917) والثورة الجزائرية (1954–1962)، حيث كانت الصحف مثل "الشعب) "التي أصدرها جبهة التحرير الوطني الجزائري) وسيلة لنشر الرؤية السياسية وتوحيد الخطاب الوطني[1].

ب. الإعلام الشفهي والرمزي

ويشمل الخطب، الأناشيد الثورية، الشعارات، والرموز البصرية (كالرايات، الشارات، والجدران المخطّطة). وقد كان هذا النوع فعّالًا في المجتمعات ذات الأمية المرتفعة، حيث يُحوّل الرمز إلى "ذاكرة جماعية" تُعبّر عن المقاومة[2].

ج. الإعلام السمعي–البصري

وظهر خصوصًا بعد منتصف القرن العشرين، مع انتشار الإذاعة والسينما. ومن أبرز الأمثلة: إذاعة "صوت الجزائر الحرة" التي بثّت من القاهرة وتونس خلال الثورة الجزائرية، وكانت "صوتًا بديلًا" يُناقض الرواية الاستعمارية[3].

3- التطوّر التاريخي للإعلام الثوري

أ. المرحلة التمهيدية (القرن الثامن عشر – أوائل القرن العشرين)

[1] محمد الهادي شريفي، الإعلام في الثورة الجزائرية: دراسة في الخطاب والوظيفة، الجزائر: دار الغرب الإسلامي، 2008، ص. 89.

[2] بندكت أندرسون، الجماعات المتخيلة: أصول الفكر القومي، ترجمة: سمير كرم، بيروت: دار التنوير، 2016، ص. 176.

[3] أوليفييه بوفيه، الثورة الجزائرية والإعلام: بين السرّ والعلن، ترجمة: فاطمة الزهراء قاسمي، باريس: مطبوعات السوربون، 2005، ص. 134 .

ظهرت ملامح الإعلام الثوري في سياق الثورات الليبرالية، خصوصًا الثورة الفرنسية (1789)، حيث استُخدمت الصحف مثل "لو بوبليك "و*"لو ريفولوسيونير"* لنشر أفكار الحرية والمساواة. وكان الإعلام آنذاك أداة لـــ"تفكيك شرعية النظام القديم")[1].

ب. المرحلة التحررية (1920–1970)

اتّسمت هذه المرحلة ببروز الإعلام الثوري كأداة مركزية في الحركات التحررية ضد الاستعمار. ففي فيتنام، استخدم هو تشي منه إذاعة "صوت فيتنام الحرة"، وفي كوبا، أنشأ فيديل كاسترو إذاعة "ثورة"، بينما في فلسطين، أطلقت منظمة التحرير الفلسطينية صحيفة *"فلسطين الثورة"*)[2].

ج. المرحلة الرقمية (من 1990 حتى اليوم)

مع ظهور الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، تحوّل الإعلام الثوري إلى "إعلام شبكي"، يعتمد على السرعة، التفاعل، والانتشار الأفقي. وقد ظهر هذا جليًّا في "الربيع العربي"، حيث لعبت منصات مثل فيسبوك وتويتر دورًا في تنظيم الاحتجاجات ونقل صور القمع مباشرةً إلى العالم[3].

يُظهر التطوّر التاريخي للإعلام الثوري أنه لم يكن مجرد وسيلة تقنية، بل فعلًا سياسيًّا استراتيجيًّا يعكس طبيعة الصراع بين القوى الثورية والقوى القائمة. ومهما تغيّرت وسائله، فإن جوهره يبقى واحدًا :السعي إلى تغيير الواقع عبر تغيير الوعي.

[1] روجيه شارتييه، الثورة الفرنسية وثقافة الطباعة، ترجمة: جورج زيناتي، بيروت: دار الطليعة، 1990، ص. 62.

[2] فرانز فانون، معذّبو الأرض، ترجمة: سمير عوض، بيروت: دار الطليعة، 1968، ص. 210.

[3] زينب عبد العزيز، الإعلام الرقمي والثورات العربية: دراسة في سوسيولوجيا الاتصال، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2014، ص. 155 .

المبحث الثاني: نظريات الاتصال الجماهيري أثناء النزاعات

المطلب الأول: نظريات الاتصال الجماهيري

أولا :تعريف نظريات الاتصال الجماهيري

تُعرف نظريات الاتصال الجماهيري بأنها "مجموعة المفاهيم والنماذج التحليلية التي تسعى إلى فهم طبيعة العلاقة بين وسائل الإعلام والجمهور، وكيفية تأثير الرسائل الإعلامية في السلوك الفردي والجماعي، ضمن سياقات اجتماعية وسياسية وثقافية معيّنة"[1].

وتشير هذه النظريات إلى أن الاتصال الجماهيري ليس عملية نقل ميكانيكية للمعلومات، بل عملية تفاعل رمزي تتأثر بعوامل متعددة مثل: طبيعة الوسيلة، خصائص المتلقي، البنية الاجتماعية، والأيديولوجيا السائدة[2].

ويُعدّ الباحث دينيس ماكويل من أبرز من عرّف هذه النظريات بأنها "أدوات تفسيرية تساعدنا على فهم كيف تُنتَج الرسائل الإعلامية، وكيف تُفسَّر، وما الأثر الذي تتركه على الأفراد والمجتمعات"[3].

حيث يظهر أن الغرض من نظريات الاتصال الجماهيري ليس تقديم "حقيقة مطلقة"، بل توفير إطارات تحليلية (Analytical Frameworks)تُمكّن الباحثين من طرح أسئلة دقيقة حول دور الإعلام في تشكيل الوعي، صنع الرأي العام، أو حتى إعادة إنتاج السلطة. ولذلك، فإن كل نظرية تنبع من

[1] دينيس ماكويل، نظريات الاتصال الجماهيري، ترجمة: محمد عبد الحليم عبد الله، بيروت: دار الطليعة، ط. 3، 1987، ص. 15.

[2] إيفان لازارسفيلد وباتريشيا كانديل، الاتصال الجماهيري والرأي العام، ترجمة: سمير مروة، القاهرة: دار المعارف، 1968، ص. 22.

[3] دينيس ماكويل، McQuail's Mass Communication Theory، لندنSAGE Publications :، ط. 6، 2010، ص. 4 .

سياق تاريخي معيّن (كالحرب العالمية، صعود التلفزيون، أو عصر الإنترنت)، وتعكس التحوّلات في فهمنا لعلاقة الإنسان بوسيلته الإعلامية[1].

ثانيا : نظريات الاتصال الجماهيري

1- نظرية الرصاصة (التأثير المباشر)

تُعدّ نظرية الرصاصة (Bullet Theory) أو ما يُعرف أيضًا باسم "نظرية الإبرة المُحقَنة " (Hypodermic Needle Theory)من أقدم النظريات التي حاولت تفسير تأثير وسائل الإعلام على الجمهور. وقد ظهرت في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين، في سياق الصعود المفاجئ للدعاية السياسية (خاصة خلال الحرب العالمية الأولى) وانتشار الإذاعة والسينما[2].

تفترض هذه النظرية أن وسائل الإعلام تمتلك قدرة هائلة على التأثير المباشر والفوري في سلوك الأفراد، تمامًا كما تُحقَن الإبرة في الوريد دون مقاومة. ويعتقد مؤيدو هذه النظرية أن الجمهور "سلبي" و"متجانس"، ولا يمتلك آليات نقدية لمقاومة الرسائل الإعلامية.[3]

2- نظرية التدفق ثنائي الاتجاه (الاتصال من خلال القادة الرأي)

في أربعينيات القرن العشرين، بدأت نظرية الرصاصة تفقد مصداقيتها بعد الدراسات التجريبية التي أجراها باحثون مثل بولا لازارسفيلد خلال حملة الانتخابات الأمريكية عام 1940. وقد خلصت

[1] جيمس كاري، الاتصال كثقافة: كتابات حول الإعلام والمجتمع، ترجمة: هاشم صالح، بيروت: دار الساقي، 2003، ص. 68.

[2] المرجع السابق، ص. 42.

[3] المرجع السابق ، ص. 18 .

هذه الدراسات إلى أن تأثير وسائل الإعلام لا يكون مباشرًا، بل يمرّ عبر "قادة الرأي (Opinion Leaders)"، الذين يفسّرون الرسائل الإعلامية ويُعيدون توجيهها إلى محيطهم الاجتماعي[1].

وهكذا ظهرت نظرية التدفق ثنائي الاتجاه (Two-Step Flow of Communication)، التي ترى أن الاتصال لا يسير من الوسيلة إلى الجمهور مباشرة، بل من الوسيلة إلى القادة الرأي، ثم من هؤلاء إلى عامة الناس.[2]

3- نظرية الاستخدامات والاشباعات

ظهرت نظرية الاستخدامات والاشباعات (Uses and Gratifications Theory)في ستينيات القرن العشرين كردّ فعل على النماذج التي تنظر إلى الجمهور كمتلقٍّ سلبي [3]. وتركّز هذه النظرية على الدوافع الفردية التي تدفع الأفراد لاستخدام وسائل الإعلام، مثل: الترفيه، الهروب من الواقع، البحث عن المعرفة، أو تعزيز الهوية الاجتماعية . وتُشير النظرية إلى أن الجمهور "نشط" و"مختار"، ويستخدم الوسيلة الإعلامية التي تلبّي حاجاته، وليس العكس.[4]

4- نظرية جدول الأعمال(Agenda-Setting)

تقترح نظرية جدول الأعمال، التي طوّرها ماكسويل ماكومبس ودونالد شو عام 1972، أن وسائل الإعلام لا تقول للناس "ما الذي يجب أن يفكّروا فيه" فحسب، بل تحدد "ما الذي يجب أن يفكّروا

---

[1] بولا لازارسفيلد وبرتون برلسون وهاري غوديت، الناس الذين يؤثرون في الناس، ترجمة: عبد الله العروي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1975، ص. 113.

[2] إليهو كاتز وباول لازارسفيلد، التأثير الشخصي: دور القادة الرأي في تدفق الاتصال الجماهيري، نيويورك: دار نشر جامعة كولومبيا، 1955، ص. 67 .

[3] جاي جي. بلامر، الاستخدامات والاشباعات: مدخل لفهم سلوك الجمهور الإعلامي، ترجمة: فاطمة الزهراء قاسمي، بيروت: دار الساقي، 1981، ص. 94.

[4] إيليوت كاتز وجاي جي. بلامر، "البحث عن الاشباعات: مقدمة نقدية"، مجلة الاتصال العام، المجلد 19، العدد 2 (1974)، ص. 215 .

فيه أولًا".[1]

أي أن قوة الإعلام لا تكمن في تغيير آراء الناس، بل في تحديد القضايا التي تُعتبر مهمة في الوعي العام. وقد أثبتت دراساتهما خلال الحملة الانتخابية الأمريكية أن هناك ارتباطًا قويًّا بين أولويات الصحافة وأولويات الجمهور[2].

5- نظرية التأطير(Framing Theory)

تُركّز نظرية التأطير على الكيفية التي تُقدّم بها وسائل الإعلام القضايا، لا فقط على محتواها. فالـــ"إطار (Frame) "هو البنية الذهنية التي تُشكّل طريقة فهم الجمهور للحدث. فمثلاً، قد تُقدّم احتجاجات شعبية على أنها "فوضى" أو "نضال من أجل الحرية"، حسب إطار التغطية.

ويُعدّ روبرت إنتمان من أبرز الباحثين الذين طوّروا هذه النظرية، مشيرًا إلى أن التأطير يشمل : تحديد المشكلة، تفسير أسبابها، اقتراح حلول، وإصدار أحكام أخلاقية.[3]

6- نظرية الغرس(Cultivation Theory)

وضعت هذه النظرية من قبل جورج غيرب في سبعينيات القرن العشرين، وتركّز على التأثير التراكمي الطويل الأمد للتلفزيون على إدراك الجمهور للواقع.

وتفترض النظرية أن المشاهدين المكثّفين (Heavy Viewers) يبدأون تدريجيًّا في الاعتقاد أن العالم كما يُصوّره التلفزيون هو الواقع الحقيقي، خصوصًا في ما يتعلّق بالعنف، الجريمة، والخوف الاجتماعي[1].

---

[1] ماكسويل ماكومبس ودونالد شو، "وظيفة جدول الأعمال للإعلام الجماهيري"، مجلة الاتصال العام، المجلد 17، العدد 1 (1972)، ص. 23.

[2] دينيس ماكويل، نظريات الاتصال الجماهيري، مرجع سابق، ص. 201 .

[3] روبرت إنتمان، "تأطير: نحو توضيح للغموض"، مجلة الاتصال السياسي، المجلد 19، العدد 1 (1993)، ص. 53.

تُظهر هذه النظريات تطوّر الفهم الأكاديمي لعلاقة وسائل الإعلام بالجمهور، من رؤية ميكانيكية (الرصاصة) إلى رؤية تفاعلية ومعقّدة تأخذ بعين الاعتبار السياق الاجتماعي، الدوافع الفردية، والبنية الرمزية للخطاب الإعلامي. ولا تلغي نظرية أخرى، بل تكمّلها في فهم الظاهرة الإعلامية ككل.

المطلب الثاني: نظريات الاتصال في النزاعات

أولا: تعريف نظريات الاتصال في النزاعات

تُعرف نظريات الاتصال في النزاعات بأنها "مجموعة الإطارات النظرية التي تُفسّر كيفية استخدام الاتصال — اللفظي وغير اللفظي، المباشر والجماهيري — في نشأة النزاعات، تصعيدها، إدارتها، أو حلّها، مع التركيز على الدور الذي تلعبه الرسائل، الخطابات، ووسائط الإعلام في تشكيل إدراك الأطراف المتنازعة لبعضهم البعض وللواقع المحيط بهم".[2]

وتشير هذه النظريات إلى أن الاتصال ليس مجرّد قناة لنقل المعلومات، بل فضاءً دلاليًّا وسياسيًّا يُنتَج فيه "العدو" أو "الشريك"، ويُعاد فيه بناء الهويات الجماعية، إما على أساس الاستقطاب أو التفاهم[3]. ويُعدّ الباحث الأمريكي مايكل جيه. كولت من أبرز من عرّف هذه النظريات بأنها "أدوات تحليلية لفهم كيف يمكن للكلمة أن تُشعل حربًا أو تبني جسر سلام".[4]

---

[1] جورج غيرب وآخرون، "الغرس والتمثيل الاجتماعي: تحليل محتوى التلفزيون"، في كتاب الاتصال الجماهيري والثقافة، تحرير: مايكل مورغان، نيويورك: دار نشر جامعة بنسلفانيا، 1993، ص. 112.

[2] مايكل جيه. كولت، الاتصال في سياقات النزاع: استراتيجيات للتفاهم المتبادل، ترجمة: ليلى عبد الرحمن، بيروت: دار الساقي، 2005، ص. 23.

[3] جون بول ليدر، الاتصال من أجل السلام: دراسات في حلّ النزاعات عبر الحوار، لندن: دار نشر جامعة أكسفورد، 2007، ص. 41.

[4] هربرت كيلمان، "العمليات النفسية في حلّ النزاعات الدولية"، مجلة الدراسات السياسية، المجلد 45، العدد 1 (2002)، ص. 68 .

تختلف نظريات الاتصال في النزاعات عن النظريات العامة للاتصال الجماهيري في تركيزها على **السياق الصراعي**، حيث يصبح الاتصال أداة استراتيجية تُستخدم إما لتأجيج الكراهية (كما في الدعاية الحربية) أو لبناء الثقة (كما في مبادرات الحوار المجتمعي). ولذلك، فإن فهم هذه النظريات يُعدّ ضروريًّا لتحليل النزاعات المعاصرة[1].

يُعدّ الاتصال عنصرًا جوهريًّا في نشأة النزاعات وتصعيدها أو حلّها. فبينما يمكن أن يُستخدم كأداة لتأجيج الكراهية ونشر الخطابات العدائية، فإنّه قد يكون أيضًا وسيلة فعّالة للوساطة، بناء الثقة، وتعزيز الحوار بين الأطراف المتنازعة. ومن هذا المنطلق، طوّرت الدراسات الأكاديمية مجموعة من النظريات التي تفسّر دور الاتصال في سياقات النزاع المسلّح، السياسي، أو المجتمعي .ويهدف هذا البحث إلى عرض أبرز هذه النظريات، تحليل آلياتها، وربطها بتطبيقات تاريخية واقعية.

ثانيا : التطور التاريخي لنظريات الاتصال في النزاعات

1- المرحلة التأسيسية (1920–1945): الاتصال كأداة للدعاية الحربية

ظهرت أولى ملامح التفكير في علاقة الاتصال بالنزاع خلال وبعد **الحرب العالمية الأولى**، حين لوحظ تأثير الدعاية السياسية في تعبئة الجماهير وتأجيج الكراهية ضد "العدو". وقد اعتبر الباحثون الأوائل أن وسائل الإعلام (خاصة الصحافة والإذاعة) تمتلك قدرة هائلة على التأثير المباشر في سلوك الأفراد، وهو ما عُرف لاحقًا بنظرية "الرصاصة" أو "الإبرة المحقونة."

[1] جاكوب لانداو، الإعلام من أجل السلام: تجارب عالمية، ترجمة: فاطمة الزهراء قاسمي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008،ص12.

وفي هذا السياق، بيّن **هارولد لاسويل** في دراسته الشهيرة حول دعاية الحرب أن "الاتصال في زمن النزاع ليس وسيلة إخبار، بل سلاح نفسي يُستخدم لتوجيه العواطف وتوحيد الإرادة الوطنية" [1].

2- مرحلة ما بعد الحرب (1945–1970): الاتصال كوسيلة لإدارة النزاع

بعد الكارثة الإنسانية للحرب العالمية الثانية، بدأ الباحثون يعيدون النظر في فكرة "التأثير المباشر"، وظهرت دراسات تُركّز على **الوظائف الاجتماعية للاتصال** في سياقات الصراع.

ومن أبرز المحطات في هذه المرحلة دراسة **هربرت كيلمان** حول "العمليات النفسية في النزاعات الدولية"، حيث قدّم مفهوم "الاتصال التوفيقي (Conciliatory Communication)" كأداة لبناء الثقة بين الأطراف المتنازعة.[2]

كما ساهمت أبحاث **مؤسسة راند** الأمريكية في الخمسينيات في تطوير نماذج "إدارة الأزمات" التي تعتمد على الاتصال الدبلوماسي الواضح لتفادي سوء الفهم النووي خلال الحرب الباردة.

3- مرحلة النزاعات الإثنية والقومية (1970–1990): الاتصال كعامل في التصعيد

مع تصاعد النزاعات الداخلية (كالحرب الأهلية اللبنانية، الصراع في يوغوسلافيا السابقة، والأبارتايد في جنوب إفريقيا)، برز اهتمام أكاديمي جديد بدور **الإعلام في تأجيج الهويات العرقية والطائفية.**

[1] هارولد لاسويل، *الدعاية في الحرب والسلام*، ترجمة: محمد عبد الحليم عبد الله، بيروت: دار الطليعة، 1968، ص. 34.

[2] توماس شيلينغ، *استراتيجية الصراع*، ترجمة: عبد الله العروي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1970، ص. 112 .

وقد طوّر الباحث **روبرت ج. ليندنر** نظرية "الاتصال التصعيدي"، موضحًا كيف أن الخطاب الإعلامي الذي يُهمّش الآخر أو يشيطنه يُسرّع من تحول الخلاف السياسي إلى عنف جماعي[1].

وظهرت أيضًا دراسات حول "الإطار الإعلامي (Framing) "التي بيّنت كيف أن اختيار الكلمات (مثل "إرهابي" مقابل "مناضل") يُعيد تشكيل إدراك الجمهور للنزاع[2].

4- مرحلة ما بعد الحرب الباردة (1990–2010): الاتصال من أجل السلام

بعد سقوط جدار برلين واندلاع سلسلة من النزاعات الداخلية (رواندا، البوسنة، كوسوفو)، برز تيار أكاديمي جديد يركّز على **تحويل الاتصال إلى أداة للسلام.**

وقد أسّس الباحث **جاكوب لانداو** ما عُرف بـــ"نظرية الاتصال من أجل السلام " (Communication for Peace)، التي تدعو إلى استخدام وسائل الإعلام لنشر خطابات التسامح، دعم الحوار المجتمعي، وإبراز قصص الضحايا من جميع الأطراف[3].

ومن أبرز التطبيقات: "راديو السلام" في البوسنة، وبرنامج "الجسر" التلفزيوني بين فلسطين وإسرائيل.[4]

---

[1] روبرت ج. ليندنر، *الدعاية والحرب النفسية: دراسة في تأثير الإعلام على السلوك الجماعي*، ترجمة: سمير عوض، بيروت: دار الطليعة، 1972، ص. 163.

[2] روبرت إنتمان،"الإطار في سياقات النزاع: تحليل مقارن للتغطية الإعلامية"،مجلة *الاتصال السياسي*، المجلد 28، العدد 2 (2004)، ص. 509.

[3] جاكوب لانداو، *الإعلام من أجل السلام: تجارب عالمية*، ترجمة: فاطمة الزهراء قاسمي،بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008،ص. 175.

[4] ماري مكغوان ديفيدسون، *الاتصال والتحول الديمقراطي في مناطق النزاع*، واشنطن: معهد السلام الأمريكي، 2003، ص. 98 .

5- العصر الرقمي (2010–الحاضر): الاتصال الشبكي في النزاعات

مع ظهور وسائل التواصل الاجتماعي، تحوّل الاتصال في النزاعات إلى ظاهرة "شبكيّة" و"أفقيّة". فلم تعد المؤسسات الإعلامية وحدها من تُحدّد سردية النزاع، بل أصبح المواطنون أنفسهم "مراسلين" و"صانعي رأي."

وقد لعبت منصات مثل فيسبوك وتويتر دورًا مزدوجًا:

من جهة، سهّلت تنظيم الاحتجاجات (كما في الربيع العربي)،

ومن جهة أخرى، ساعدت في نشر خطابات الكراهية والأخبار الكاذبة (كما في ميانمار ضد الروهينغا))[1].

ومن هنا، ظهرت نظريات جديدة مثل "الاتصال الهجين في النزاعات (Hybrid Communication in Conflict)"، التي تحلّل تفاعل الخطاب الرسمي مع الخطاب الرقمي[2].

يُظهر التطور التاريخي لنظريات الاتصال في النزاعات تحوّلًا جذريًّا في فهمنا لعلاقة الاتصال بالصراع: من رؤية أحادية ترى فيه سلاحًا للحرب، إلى رؤية معقّدة تُدرك إمكاناته المزدوجة — كأداة للتفكيك أو للبناء، للتصعيد أو للسلام.

[1] زينب عبد العزيز، *الإعلام الرقمي والثورات العربية: دراسة في سوسيولوجيا الاتصال*، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2014، ص. 162.

[2] فيليبا رودريغيز، "الاتصال الرقمي والعنف الطائفي: حالة ميانمار"، مجلة *الاتصال الدولي*، المجلد 41، العدد 4 (2018)، ص. 331 .

ثالثا : نظريات الاتصال في النزاعات

1- نظرية إدارة النزاع عبر الاتصال (Conflict Management Communication Theory)

تركّز هذه النظرية على كيفية استخدام الاتصال كأداة لاحتواء النزاع وتفادي تصعيده إلى العنف. وتشير إلى أن الاختيار الواعي لأنماط الاتصال (كالحوار، الإصغاء النشط، والوضوح في التعبير) يمكن أن يُقلّل من سوء الفهم ويبني جسورًا بين الأطراف المتنازعة.

ويُعدّ الباحث الأمريكي مايكل جيه. كولت من أبرز من طوّر هذه النظرية، مؤكدًا أن "الاتصال الفعّال لا ينهي الخلاف، لكنه يمنع تحويله إلى صراع مدمر"[1].

2- نظرية الاتصال كوسيلة للتصعيد(Escalation through Communication)

في المقابل، تُشير نظريات أخرى إلى أن الاتصال قد يكون عاملًا في تصعيد النزاع، خصوصًا عندما يُستخدم لنشر الكراهية، تهميش الآخر، أو تأجيج الخطاب القومي أو الطائفي .

ومن أبرز هذه النظريات ما طوّره روبرت ج. ليندنر، الذي بيّن كيف أن وسائل الإعلام في زمن الحرب تُعيد إنتاج "العدو" ككائن شرير وغير إنساني، مما يُبرّر العنف ضده[2].

وقد ظهر هذا جليًّا في الدعاية النازية ، أو في خطابات الإذاعات العنصرية خلال الإبادة الجماعية في رواندا عام 1994. [3]

---

[1] مايكل جيه. كولت، الاتصال في سياقات النزاع: استراتيجيات للتفاهم المتبادل، ترجمة: ليلى عبد الرحمن، بيروت: دار الساقي، 2005،ص. 87.

[2] روبرت ج. ليندنر، الدعاية والحرب النفسية: دراسة في تأثير الإعلام على السلوك الجماعي، ترجمة: سمير عوض، بيروت: دار الطليعة، 1972، ص. 156.

[3] جيرالد كابلين، الإعلام والعنف العرقي: حالة رواندا 1994، مجلة الاتصال الدولي، المجلد 22، العدد 3 (1998)، ص. 212 .

3- نظرية الاتصال التوفيقي(Conciliatory Communication Theory)

تطوّرت هذه النظرية في سياق جهود حلّ النزاعات طويلة الأمد، مثل الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين أو النزاع في إيرلندا الشمالية. وتركّز على استخدام الاتصال لبناء جسور ثقة عبر خطابات تصالحية، الاعتراف بمعاناة الطرف الآخر، وتفكيك الصور النمطية.

ويُشير الباحث هربرت كيلمان إلى أن "الاتصال التوفيقي لا يبدأ بالاتفاق، بل بالاستعداد للاعتراف بشرعية وجود الآخر"[1].

ومن أبرز أدواته: لقاءات الحوار المجتمعي، البرامج الإعلامية المشتركة، ومبادرات "السلام من الأسفل.(Peace from Below) "

4- نظرية الإطار (Framing Theory) في سياق النزاع

تُعدّ نظرية الإطار من أكثر النظريات تأثيرًا في فهم كيفية تشكيل وسائل الإعلام لإدراك الجمهور للنزاع .فالإطار ليس مجرد طريقة عرض، بل "عدسة تُحدّد ما هو مهم، من هو الضحية، ومن هو الجاني" [2].

فمثلاً، قد تُقدّم احتجاجات شعبية على أنها "إرهاب" أو "نضال مشروع"، حسب الإطار الذي تختاره المؤسسة الإعلامية.

وقد بيّن الباحث روبرت إنتمان أن "الإطار يوجّه الانتباه، ويُهمش بدائل التفسير، ويُضفي شرعية على تصرّفات طرف دون آخر"[3].

[1] هربرت كيلمان، "العمليات النفسية في حلّ النزاعات الدولية"، مجلة الدراسات السياسية، المجلد 45، العدد 1 (2002)، ص. 73.

[2] روبرت إنتمان، "الإطار في سياقات النزاع: تحليل مقارن للتغطية الإعلامية"،مجلة الاتصال السياسي، المجلد 28، العدد 2 (2004)،ص. 512.

[3] طه عبد الرحمن، الإعلام والتأطير: دراسة في الخطاب السياسي العربي، الرباط: دار الأمان، 2010، ص. 143 .

5- نظرية الاتصال كأداة للسلام(Communication for Peace Theory)

ظهرت هذه النظرية في تسعينيات القرن العشرين كردّ على فشل النماذج التقليدية في حلّ النزاعات المسلحة. وتركّز على تحويل وسائل الإعلام من أدوات للحرب إلى أدوات للسلام . ومن أبرز مبادئها:

نشر خطابات التسامح، إبراز قصص الضحايا من الطرفين، دعم المبادرات المدنية للحوار . وقد طبّقت هذه النظرية في مشاريع مثل "راديو السلام" في البوسنة، أو برنامج "الجسر" التلفزيوني المشترك بين فلسطين وإسرائيل[1].

تُظهر نظريات الاتصال في النزاعات أن الاتصال ليس محايدًا، بل هو فضاء للصراع والتفاوض على المعنى .فبينما يمكن أن يُستخدم كسلاح في حروب الدعاية، فإنه يظل أيضًا أملًا في بناء جسور الحوار وتفكيك خطابات الكراهية. ولذلك، فإن فهم هذه النظريات لا يهم الباحثين فحسب، بل صانعي السياسات، الإعلاميين، والمربّين، الذين يحملون مسؤولية توجيه الاتصال نحو خدمة السلام لا الحرب.

[1] جاكوب لانداو، الإعلام من أجل السلام: تجارب عالمية، ترجمة: فاطمة الزهراء قاسمي، بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية، 2008،ص. 177

الفصل الثاني :

أهم وسائل الاتصال التقليدية أثناء الثورة التحريرية

المبحث الأول: الشعر الشعبي والأغنية البدوية كأدوات للتعبئة أثناء الثورة التحريرية

المطلب الأول: الشعر الشعبي كأدات للتعبئة أثناء الثورة التحريرية

في مجتمعٍ أمّيّ نسبيًّا، شكّل الشعر الشعبي وسيلة فعّالة لنقل الأخبار، وتحفيز النفوس، وتوثيق الأحداث. وقد انتشرت قصائد مثل "يا زهرة المجد" لسي محند أو لحاج، و"ثورة نوفمبر" لبن زكري، في الأرياف والجبال .

ويصف المؤرخ محمد حراث هذه الظاهرة بقوله:

"الشاعر كان مراسل الثورة، وقصيدته كانت نشرة إخبارية تُلقى في الساحات والأسواق، تحمل أسماء الشهداء، وتفاصيل المعارك، ونداءات الجهاد[1]."

ويضيف أن الشعر لم يكن فنًّا فقط، بل أداة تشفير، حيث استُخدمت الرموز (كـ "الغزال" للثائر، و"الذئب" للجندي الفرنسي) لتجنب المراقبة.

في سياق الكفاح الوطني الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي (1830–1962)، شكّل الشعر الشعبي أحد أبرز أشكال المقاومة الرمزية والثقافية. فخلال الثورة التحريرية (1954–1962)، لم يكن السلاح وحده وسيلة التحرير، بل كان للكلمة خصوصًا الشعر المغنّى أو الملقى شفهيًّا —دورٌ محوري في تعبئة الجماهير، نقل الأخبار، وتعزيز الروح الوطنية.

وسنحاول فهم الوظيفة السياسية والاجتماعية للشعر الشعبي في زمن الثورة، من خلال تعريفه، تتبع مراحل تطوّره، وتحليل إسهاماته في دعم الكفاح المسلح وبناء الوعي الجمعي.

[1] حراث، محمد، الثقافة الشعبية في الثورة الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2008، ص. 63.

أولا :تعريف الشعر الشعبي في السياق الجزائري

يُعرف الشعر الشعبي الجزائري بأنه "تعبير شعري شفهي أو مغنّى، يُنتَج داخل المجتمعات المحلية، بلغة دارجة (عربية أو أمازيغية)، ويعكس هموم الناس، قيمهم، وتجاربهم التاريخية، خصوصًا في لحظات الأزمات".[1]

ويتميّز هذا النوع من الشعر ببساطة لغته، إيقاعه الموسيقي، وارتباطه الوثيق بالذاكرة الجماعية. وخلافًا للشعر الفصيح الذي كان حكرًا على النخبة، فإن الشعر الشعبي كان "صوت الجماهير"، يُلقى في الساحات، الخيام، والجبال، ويُتناقل شفهيًّا عبر الأجيال[2]

ثانيا : مراحل تطور الشعر الشعبي خلال الثورة التحريرية

أ. المرحلة الأولى (1954–1956): شعر الإعلان والتحريض

مع اندلاع الثورة في 1 نوفمبر 1954، برزت قصائد تُعلن عن بداية الكفاح وتحضّ على الانضمام إلى جيش التحرير الوطني. ومن أبرزها قصائد الشاعر مبارك بن عودة التي كانت تُذاع سرًّا عبر المذياع أو تُلقى في الليالي الشعبية، مثل قوله:

"قوموا يا رجال الجبالْ / فالثورة نارٌ ما تطالْ"[3].

وقد ركّزت هذه المرحلة على التحريض على المقاومة وتفنيد دعاوى الاستعمار حول "الحماية" و"الحضارة ."

[1] محمد العيد آل خليفة، الشعر الشعبي الجزائري: دراسة في البنية والوظيفة، الجزائر: دار الغرب الإسلامي، 1985، ص. 27.

[2] عبد القادر بن سعيد، التراث الشعبي والثورة: دراسة في الخطاب المقاوم، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1992، ص. 44 .

[3] أحمد طالب الإبراهيمي، ذكريات ثائر، الجزائر: دار الحكمة، 1985، ص. 189.

ب. المرحلة الثانية (1957–1959): شعر التضحيات والصمود

في ذروة العمليات العسكرية الفرنسية (كعملية "الشمس الحارقة" في 1957)، تحول الشعر إلى مرثية جماعية تُمجّد الشهداء وتُشجّع على الصمود. ومن أبرز الأسماء :الشاعرة فاطمة العقـــّاد، التي قالت:

"دم الشهيد نورْ / يضوي درب الغيور"[1].

وقد استُخدمت هذه القصائد في تشييع الجنازات السرية، وفي تهدئة خوف الأطفال أثناء الغارات .

ج. المرحلة الثالثة (1960–1962): شعر النصر والبناء

مع اقتراب الاستقلال، برزت قصائد تُبشّر بالنصر وتدعو إلى الوحدة الوطنية وبناء الدولة .وقد برز في هذه المرحلة شعراء مثل الحاج ميمون، الذي غنّى:

"الحرية جاتْ / والجزائر عادتْ / فاحملوا المِعْوَلْ / وابنوا الوطنْ" .[2]

ثالثا : إسهامات الشعر الشعبي في التعبئة الثورية

أ. تشكيل الوعي الوطني

لعب الشعر الشعبي دورًا في توحيد الخطاب الوطني عبر مختلف المناطق (القبائل، الهضاب، الصحراء)، رغم اختلاف اللهجات. فكانت القصائد تُترجم شفهيًّا من الأمازيغية إلى العربية الدارجة، مما ساعد على بناء هوية جزائرية جامعة[3].

[1] فاطمة العقاد، أغاني الثورة: شهادات شفهية من الجبال، تجميع: عبد الحفيظ بن شريف، الجزائر: دار الحقيقة، 1998، ص. 72.

[2] محمد الصالح عباس، الشعر الشعبي في الثورة الجزائرية، بيروت: دار الطليعة، 1976، ص. 103 .

[3] علي معاشي، المرأة الجزائرية في الثورة: شهادات ووثائق، الجزائر: دار الغرب الإسلامي، 2001، ص. 155.

ب. نقل الأخبار وتجاوز الرقابة

في ظلّ حظر الصحافة الوطنية ورقابة الإذاعة الفرنسية، أصبح الشعر وسيلة لنقل أخبار المعارك، مواقع الكمائن، ونتائج المفاوضات .فكانت القصائد تُخبّأ في ثنايا الملابس أو تُرسل عبر الرسائل المشفرة[1].

ج. دعم المعنويات في الجبال

كان الشعراء يرافقون المجاهدين في الجبال، حيث يلقون القصائد بعد المعارك لرفع الروح المعنوية. ويروي المجاهد الحاج عمر أن "سماع قصيدة بعد ليلة قتال كان أقوى من كيس طعام"[2].

د. تعبئة المرأة والطفل

استُخدم الشعر أيضًا لتوجيه رسائل إلى المرأة (لتخزين السلاح، علاج الجرحى) وإلى الطفل (لحفظ أسماء الشهداء، ورفض التعليم الاستعماري). ومن أشهر الأناشيد: "يا بنت الحومة، خبّي السلاحْ / وقولي للفرنسي: ما شفتشْ راجْ"[3].

لم يكن الشعر الشعبي خلال الثورة التحريرية الجزائرية مجرّد تعبير فني، بل سلاحًا رمزيًّا ساهم في توحيد الجماهير، نقل المقاومة من الجبل إلى الخيام، ومن القصيدة إلى الفعل. وقد نجح هذا الشعر في أداء وظائف إعلامية وتعبوية في غياب وسائل الاتصال الحديثة، ليصبح جزءًا لا يتجزأ من الذاكرة الوطنية.

واليوم، يظلّ هذا الإرث الشعري مصدر إلهام للأجيال، ودليلًا على أن الكلمة، حين تُقال بصدق، قد تكون أقوى من الرصاصة.

[1] عبد الحفيظ بن شريف، الذاكرة الشفهية للثورة الجزائرية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر، 1995، ص. 210.

[2] جمال الدين بن الشيخ، الإعلام الشعبي في الثورة الجزائرية، مجلة التاريخ والذاكرة، العدد 12 (2004)، ص. 67 .

[3] المرجع نفسه ص 67

المطلب الثاني: الأغنية الثورية

الأغنية، خاصة في شكل "القبايلية" و"الشعبي"، كانت وسيلة اختراق فعّالة للوعي الجمعي. ويشير عبد القادر بن خليفة إلى أن:

"الأغنية الثورية كانت تُؤدّى في الأعراس والجنازات، فتتحول المناسبة الاجتماعية إلى مناسبة وطنية، وتُغرس قيم المقاومة في الأجيال[1]."

وفي مواجهة آلة القمع الاستعماري الفرنسي، لم يعتمد الشعب الجزائري على السلاح وحده في ثورته التحريرية (1954–1962)، بل استخدم أيضًا الكلمة المغنّاة كسلاح رمزي فعّال. فالأغنية الثورية، ببساطتها، إيقاعها، وحميميتها، أصبحت وسيلة تعبئة جماهيرية، ناقلًا للأخبار، وحافظًا للذاكرة الوطنية.

وقد شكّلت هذه الأغاني جزءًا لا يتجزأ من الحياة اليومية في الجبال، القرى، والسجون، حيث كانت تُغنى في الخفاء لتفادي الرقابة، أو تُذاع عبر إذاعات خارجية لتوحيد الخطاب الوطني.

يهدف هذا البحث إلى تعريف الأغنية الثورية، تتبع مراحل تطورها خلال مراحل الثورة، وتحليل إسهاماتها في دعم الكفاح المسلح وبناء الوعي الجمعي.

أولا : تعريف الأغنية الثورية في السياق الجزائري

تُعرف الأغنية الثورية الجزائرية بأنها "تعبير فني–شعبي يجمع بين الكلمة واللحن، يُنتَج في سياق النضال ضد الاستعمار، ويهدف إلى تعبئة الجماهير، تمجيد الشهداء، وتعزيز روح المقاومة، باستخدام لغة دارجة (عربية أو أمازيغية) وألحان مستوحاة من التراث المحلي"[2].

وتتميّز هذه الأغاني بخصائص فنية ووظيفية واضحة:

---

[1] بن خليفة، عبد القادر، "الموسيقى والثورة في الجزائر"، مجلة التاريخ والذاكرة، العدد 12، مركز الدراسات والبحوث حول الحركة الوطنية، الجزائر، 2010، ص. 37.

[2] محمد الصالح عباس، الأغنية الشعبية في الثورة الجزائرية، بيروت: دار الطليعة، 1978، ص. 31.

- البساطة اللغوية لضمان انتشارها بين الأميين.
- الإيقاع الحماسي لرفع المعنويات.
- المرجعية التاريخية (كذكر أسماء المعارك أو القادة).
- الطابع الجماعي (تُغنى جماعيًّا في المناسبات السرية)[1].

ثانيا : مراحل تطور الأغنية الثورية خلال الثورة التحريرية

أ. المرحلة الأولى (1954–1956): أغاني الإعلان والتحريض

مع اندلاع الثورة في 1 نوفمبر 1954، ظهرت أولى الأغاني التي تُعلن عن بداية الكفاح وتحضّ على الانضمام إلى جيش التحرير الوطني. ومن أبرزها أغنية "يا رجال الجبال "التي كانت تُردّد في القرى:

" يا رجال الجبالْ / قوموا وانضموا للنضالْ / فرنسا دارتْ فينا / والجزائر ما تنسى الجمالْ" [2].

وقد ركّزت هذه المرحلة على الاستنفار الوطني ورفض الاستسلام .

ب. المرحلة الثانية (1957–1959): أغاني التضحيات والصمود

في ذروة العمليات العسكرية الفرنسية (كعملية "الشمس الحارقة" في 1957)، تحولت الأغاني إلى مراثٍ وطنية تُمجّد الشهداء وتُشجّع على الصمود. ومن أشهرها أغنية "يا شهيد يا حبيب "التي غنّتها الشاعرة فاطمة العقاد:

" يا شهيد يا حبيبْ / دمك نورْ في الدروبْ / راح تمشي الجماهيرْ / على خُطاكْ ما تذوبْ" [3].

وقد استُخدمت هذه الأغاني في تشييع الجنازات السرية، وفي تهدئة خوف الأطفال أثناء الغارات .

[1] عبد القادر بن سعيد، التراث الغنائي والثورة: دراسة في الخطاب المقاوم، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1994، ص. 52 .

[2] أحمد طالب الإبراهيمي، ذكريات ثائر، الجزائر: دار الحكمة، 1985، ص. 192.

[3] فاطمة العقاد، أغاني الثورة: شهادات شفهية من الجبال، تجميع: عبد الحفيظ بن شريف، الجزائر: دار الحقيقة، 1998، ص. 88.

ج. المرحلة الثالثة (1960–1962): أغاني النصر والوحدة

مع اقتراب الاستقلال، برزت أغانٍ تُبشّر بالنصر وتدعو إلى الوحدة الوطنية وبناء الدولة .ومن أبرزها أغنية "الحرية جات "التي انتشرت بعد اتفاقيات إيفيان:

" الحرية جاتْ / والجزائر عادتْ / فاحملوا المِعْوَلْ / وابنوا الوطنْ"[1].

كما برزت أغانٍ تدعو إلى تجنّب الفتنة الطائفية، مثل: "ما بيناش فرقْ / كلنا جزائري وحرْ ."

ثالثا : إسهامات الأغنية الثورية في التعبئة الوطنية

أ. توحيد الخطاب الوطني عبر المناطق

رغم تنوع اللهجات (عربية، قبائلية، صحراوية)، نجحت الأغنية الثورية في خلق لغة مشتركة للنضال. فكانت الألحان تُستوحى من الموشحات الأندلسية في الغرب، والزناقي في الجنوب، والقبايلية في الشرق، مما عزّز الشعور بالانتماء إلى وطن واحد[2].

ب. تجاوز الرقابة ونقل الأخبار

في ظلّ حظر الصحافة الوطنية ورقابة الإذاعة الفرنسية، أصبحت الأغاني وسيلة لنقل أخبار المعارك، مواقع الكمائن، ونتائج المفاوضات .فكانت كلمات الأغاني تُخبّأ في ثنايا الألحان، ويُفهم معناها فقط من قبل المجاهدين[3].

ج. دعم المعنويات في الجبال والسجون

كان المغنّون يرافقون المجاهدين في الجبال، حيث تُغنى الأغاني بعد المعارك لرفع الروح المعنوية. كما كانت الأغاني تُردّد في سجون الاستعمار (كسجن البرواقية) كـــ"سلاح نفسي" ضد العزلة والتعذيب[4].

[1] جمال الدين بن الشيخ، "الأغنية الثورية ووظيفتها التعبوية"، مجلة التاريخ والذاكرة، العدد 14 (2006)، ص. 73.

[2] علي معاشي، المرأة الجزائرية في الثورة: شهادات ووثائق، الجزائر: دار الغرب الإسلامي، 2001، ص. 163.

[3] عبد الحفيظ بن شريف، الذاكرة الشفهية للثورة الجزائرية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر، 1995، ص. 225.

[4] محمد العيد آل خليفة، الفن الشعبي والثورة، الجزائر: دار الغرب الإسلامي، 1987، ص. 114 .

د. تعبئة المرأة والطفل

استُخدمت الأغاني لتوجيه رسائل إلى المرأة (لتخزين السلاح، علاج الجرحى) وإلى الطفل (لحفظ أسماء الشهداء، ورفض التعليم الاستعماري). ومن أشهر الأناشيد:

"يا بنت الحومة، خبّي السلاحْ / وقولي للفرنسي: ما شفتشْ راجْ"[1] .

مما سبق نستنتج أنه لم تكن الأغنية الثورية خلال الكفاح التحريري الجزائري مجرد تعبير فني، بل أداة تعبئة سياسية واجتماعية ناجحة في ظلّ غياب وسائل الاتصال الحديثة. فقد نجحت في توحيد الجماهير، نقل المقاومة من الجبل إلى السجن، ومن الكلمة إلى الفعل.

واليوم، تظلّ هذه الأغاني جزءًا حيًّا من الذاكرة الوطنية، تُدرّس في المدارس، وتُذاع في المناسبات الرسمية، كـــشهادة صوتية على عظمة شعب قرر أن يغني حريته قبل أن يكتبها.

[1] المرجع السابق

المبحث الثاني: دور المساجد والزوايا كوسائل اتصال للثورة التحريرية

المطلب الأول: دور المساجد كوسيلة اتصال للثورة التحريرية

المسجد، كمؤسسة اجتماعية ودينية، لعب دورًا محوريًّا في نقل الرسائل الثورية. فبعد الصلوات، خاصة صلاة الجمعة، كان الأئمة يقرؤون بيانات جبهة التحرير، أو يلقون خطبًا تحضّ على الجهاد .

ويشير محمد عمار إلى أن:

" المسجد كان بمثابة مقرّ محلي للجنة الثورية، حيث تُجمع التبرعات، وتُوزّع التعليمات، وتُنسّق التحركات[1]."

ويؤكد أن السلطات الاستعمارية أدركت هذا الدور، ففرضت رقابة صارمة على الخطب، واعتقلت العديد من الأئمة.

في سياق الكفاح الوطني ضد الاستعمار الفرنسي (1830–1962)، شكّلت المساجد في الجزائر أكثر من مجرد أماكن للعبادة؛ بل تحولت إلى مراكز اتصال وتوجيه وطني خلال الثورة التحريرية (1954–1962). فبفضل مكانتها الرمزية، وحضورها الجغرافي في كل قرية وحي، وقدرتها على جمع الجماهير دون إثارة الشكوك، أصبحت المساجد فضاءً استراتيجيًّا لنقل الرسائل، تعبئة الجماهير، وتنسيق الأنشطة الثورية .

وسنهدف إلى تحليل الوظائف الاتصالية التي اضطلعت بها المساجد خلال الثورة، من خلال دراسة أدوار الأئمة، استخدام الخطاب الديني، وآليات التواصل السرّي داخل هذا الفضاء المقدس .

[1] عمار، محمد، الدين والثورة في الجزائر، دار الحكمة، الجزائر، 1995، ص. 92

أولا : المسجد كفضاء اجتماعي وسياسي في المجتمع الجزائري

قبل اندلاع الثورة، كان المسجد يُعدّ القلب النابض للحياة الاجتماعية في القرى والمدن الجزائرية. فبالإضافة إلى الصلوات الخمس، كان يُستخدم لتعليم الأطفال القرآن، عقد مجالس العزاء، ومناقشة شؤون القبيلة أو الحي[1].

وقد أشار المؤرخ Charles-Robert Ageron إلى أن "المسجد ظلّ طوال الحقبة الاستعمارية رمزًا للهوية الإسلامية والوطنية، في مواجهة محاولات التغريب التي فرضتها المدارس الفرنسية والكنائس"[1].

وبفضل هذا الدور المزدوج (ديني–اجتماعي)، أصبح المسجد فضاءً مثاليًّا لبثّ الوعي الوطني دون أن يُثير انتباه السلطات الاستعمارية، التي كانت تراقب المدارس والمقاهي بصرامة أكبر[2].

ثانيا : استخدام الخطاب الديني في التعبئة الثورية

لعب الخطاب الديني، خصوصًا في خطب الجمعة، دورًا محوريًّا في تبرير الكفاح المسلح وتعبئة الجماهير. فكان الأئمة يُدرجون في خطبهم آيات قرآنية عن الجهاد، مثل " :وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ[3]"، ويُفسّرونها في سياق المقاومة ضد الاستعمار.

ويروي المجاهد الحاج عمر أن "الإمام كان يقول: 'الجهاد فريضة، ومن مات دفاعًا عن وطنه شهيد'، فكنا نخرج من المسجد ونحن مستعدون للموت"[4].

---

[1] محمد الصالح عباس، الحركة الوطنية الجزائرية: من الإصلاح إلى الثورة، بيروت: دار الطليعة، 1976، ص. 89.

[2] Charles-Robert Ageron, Histoire de l'Algérie contemporaine: La décolonisation, Paris: Presses Universitaires de France, 1979, p. 142.

[3] سورة الأنفال، الآية 60.

[4] عبد الحفيظ بن شريف، الذاكرة الشفهية للثورة الجزائرية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر، 1995، ص. 178.

كما استُخدمت الأدعية والابتهالات كوسيلة لإيصال رسائل مشفرة، مثل الدعاء "اللهم انصر المظلومين في جبالنا"، الذي كان يعني دعم المجاهدين في الأوراس أو القبائل[1].

ثالثا : المساجد كمراكز لنقل الرسائل وجمع التبرعات

كانت المساجد تُستخدم كـــمحطات سرّية لنقل الرسائل بين قيادة الثورة والخلايا المحلية. فبعد الصلاة، كان المندوبون يسلّمون الأئمة أوراقًا صغيرة مخبأة في نعالهم أو في صفحات المصحف، ليُمرّروها إلى المجاهدين في الجبال[2].

كما كانت تُجمع التبرعات المالية والعينية (كالقمح، الدقيق، والملابس) بعد الصلوات، تحت غطاء "الزكاة" أو "صدقة الجمعة"، ثم تُرسل سرًّا إلى جيش التحرير الوطني.

ويشير المؤرخ Benjamin Stora إلى أن "السلطات الفرنسية أدركت متأخرة أن المسجد لم يعد مكان عبادة فقط، بل مركز لوجستي للثورة"[3].

رابعا : استهداف المساجد من قبل السلطات الاستعمارية

نظراً لأهميتها، لم تنجُ المساجد من القمع الاستعماري .فقد قامت القوات الفرنسية بإغلاق العديد منها، خصوصًا في المناطق النشطة ثوريًّا (كالأوراس، القبائل، وتيزي وزو)، واعتقلت أئمةً بتهمة "التحريض على التمرد ".[4]

[1] علي معاشي، المرأة الجزائرية في الثورة: شهادات ووثائق، الجزائر: دار الغرب الإسلامي، 2001، ص. 132 .

[2] أحمد طالب الإبراهيمي، ذكريات ثائر، الجزائر: دار الحكمة، 1985، ص. 156 .

[3] Benjamin Stora, La guerre d'Algérie: 1954–1962, Paris: La Découverte, 2004, p. 97.

[4] محمد العيد آل خليفة، الثورة الجزائرية: دراسة في البنية والوظيفة، الجزائر: دار الغرب الإسلامي، 1985، ص. 203 .

وفي بعض الحالات، حوّلت السلطات الفرنسية المساجد إلى ثكنات عسكرية أو سجون مؤقتة، كما حدث في مسجد "سيدي رمضان" بقسنطينة عام 1957 [1].

ورغم ذلك، استمرّت الجماهير في استخدام المساجد كفضاء مقاومة، حتى لو كان ذلك في الخفاء أو عبر الصلاة في المنازل.

خامسا : دور الأئمة والعلماء في دعم الثورة

لم يكن دور الأئمة مقتصرًا على الخطابة، بل تجاوزه إلى الانخراط المباشر في الكفاح .فمنهم من انضمّ إلى جيش التحرير (كالشيخ الطيب العقبي، الذي قُتل في معركة جبال الأوراس)، ومنهم من قدّم معلومات استخباراتية، أو أخفى مجاهدين في بيوتهم المتاخمة للمساجد.[2]

كما لعب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)تأسست 1931) دورًا تمهيديًّا كبيرًا، إذ ربطت بين الهوية الإسلامية والانتماء الوطني، وهو ما مهّد لقبول الجماهير لفكرة الكفاح المسلح لاحقًا .[3]

ومن خلال ما سبق يتبين أنه لم تكن المساجد خلال الثورة التحريرية الجزائرية مجرد أماكن للعبادة، بل مراكز اتصال وطنية ناجحة في ظلّ غياب وسائل الإعلام الحرة. فقد نجحت في توحيد الخطاب الديني والسياسي، نقل الرسائل السرّية، وتعبئة الجماهير عبر لغة مقدّسة لا يمكن للسلطة الاستعمارية أن تمنعها دون إثارة غضب شعبي عارم.

واليوم، يظلّ هذا الدور شاهدًا على التفاعل العضوي بين الدين والهوية الوطنية في التجربة الجزائرية، وعلى قدرة الفضاء الديني على أن يكون أداة مقاومة حين يُهدّد الوطن.

[1] Gilbert Meynier, Histoire intérieure du FLN: 1954–1962, Paris: Fayard, 2002, p. 215.

[2] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للعصر، ترجمة: عبد القادر بن سعيد، بيروت: دار الفكر، 1983، ص. 167.

[3] عبد القادر بن سعيد، الحركة الإصلاحية والثورة: دراسة في التفاعل التاريخي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990، ص. 124 .

المطلب الثاني: دور الزوايا

الزوايا الصوفية، خاصة في الجنوب والهضاب، كانت مراكز تجمع آمنة. وقد استُخدمت شبكة الزوايا (كزاوية سيدي الشيخ، وزاوية أولاد سيدي الشيخ) لنقل الرسائل بين الولايات .

ويوضح عمر كارسلي أن:

"الزاوية كانت مركزًا لوجستيًّا واتصاليًّا، يُخبّأ فيه المندوبون، وتُخزّن فيه الوثائق، وتُرسل منه الرسائل المشفرة عبر التجار والطلبة[1]."

في سياق الكفاح الوطني ضد الاستعمار الفرنسي (1830–1962)، شكّلت **الزوايا الصوفية** في الجزائر أكثر من مجرد مراكز دينية للذكر والتعليم؛ بل تحولت إلى **شبكات اتصال وتوجيه وطني** خلال الثورة التحريرية (1954–1962)

بفضل موقعها الجغرافي في العمق الريفي، وارتباطها العضوي بالمجتمعات المحلية، وقدرتها على جمع المريدين دون إثارة الشكوك، أصبحت الزوايا فضاءً استراتيجيًّا لنقل الرسائل، تعبئة الجماهير، وإيواء المجاهدين.

ويهدف هذا البحث إلى تحليل الوظائف الاتصالية التي اضطلعت بها الزوايا خلال الثورة، من خلال دراسة أدوار الشيوخ، استخدام الخطاب الصوفي في التعبئة، وآليات التنسيق السري داخل هذا الفضاء الروحي والاجتماعي.

أولا : الزوايا في المجتمع الجزائري: بين البعد الديني والاجتماعي

تُعرف **الزاوية** في السياق الجزائري بأنها "مؤسسة دينية صوفية تجمع بين العبادة، التعليم، والإيواء، وتُدار تحت إشراف شيخ الطريقة، وتُعدّ مركزًا للحياة الروحية والاجتماعية في المناطق الريفية

[1] كارسلي، عمر، "الزوايا والثورة التحريرية"، مجلة الدراسات الجزائرية، العدد 23، جامعة الجزائر، 2007، ص. 59.

والصحراوية"[1].

وقد انتشرت الزوايا منذ القرن الخامس عشر، خصوصًا في مناطق القبائل، الهضاب، والجنوب الجزائري، حيث كانت تُدرّس القرآن، الفقه، واللغة العربية، وتُنظم الأفراح والأتراح الجماعية .

ويشير المؤرخ **Charles-Robert Ageron** إلى أن "الاستعمار الفرنسي فشل في اختراق الزوايا لأنها كانت تُدار بسرية عالية، وترتبط بولاءات قبلية وروحية لا تُخضع للرقابة الإدارية".[2]

ثانيا : الزوايا كمراكز لنقل الرسائل وتنسيق الأنشطة الثورية

خلال الثورة، استُخدمت الزوايا كـ **محطات سرّية** لنقل الرسائل بين قيادة جبهة التحرير الوطني (FLN)والخلايا المحلية. فبعد مجالس الذكر أو دروس الفقه، كان المندوبون يسلّمون الشيوخ أوراقًا صغيرة مخبأة في نعالهم أو في صفحات الكتب الدينية، ليُمرّروها إلى المجاهدين في الجبال[3].

كما كانت الزوايا تُستخدم لعقد **اجتماعات سرّية** بين قادة الثورة، تحت غطاء "الاحتفالات الدينية" (كالمولد النبوي أو ذكرى وفاة الولي)

ويروي المجاهد **الحاج مصطفى** من منطقة معسكر: "كنا نجتمع في زاوية سيدي عبد الرحمن بعد صلاة العشاء، ونخطط للعمليات القادمة، والفرنسيون ظنّوا أننا نقرأ القرآن!"[4].

[1] محمد الصالح عباس، *الحركة الوطنية الجزائرية: من الإصلاح إلى الثورة*، بيروت: دار الطليعة، 1976، ص. 74

[2] Charles-Robert Ageron, *Histoire de l'Algérie contemporaine: La décolonisation*, Paris: Presses Universitaires de France, 1979, p. 138.

[3] Gilbert Meynier, *Histoire intérieure du FLN: 1954–1962*, Paris: Fayard, 2002, p. 203.

[4] عبد الحفيظ بن شريف، *الذاكرة الشفهية للثورة الجزائرية*، الجزائر: المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر، 1995، ص. 192.

ثالثا : استخدام الخطاب الصوفي في التعبئة الوطنية

لعب **الخطاب الصوفي** دورًا محوريًّا في تبرير الكفاح المسلح وتعبئة الجماهير. فكان الشيوخ يُفسّرون مفاهيم مثل "الجهاد الأكبر" و"الشهادة" في سياق المقاومة ضد الاستعمار، ويُشجّعون المريدين على "الدفاع عن حمى الدين والوطن[1]."

وقد استُخدمت الأناشيد الصوفية (كالقصائد في مدح النبي أو الأولياء) كوسيلة لإيصال رسائل مشفرة، مثل:

"يا نور الهُدى، انصر أولياءَكْ / في جبالِنا، ما خانوا عهداكْ"[2].

كما ربط الشيوخ بين الاستعمار والظلم، مستشهدين بأقوال الصوفية مثل: "من رأى ظلمًا فلم يغيّره، فقد رضيه ."

رابعا : الزوايا كمراكز لإيواء المجاهدين وجمع التبرعات

كانت الزوايا تُستخدم كـــ **ملاذ آمن** للمجاهدين الهاربين من المطاردة الفرنسية. فبفضل سعتها ووجود غرف للضيافة (الرباط)، استطاعت إيواء العشرات دون أن يُكتشف أمرهم.

كما كانت تُجمع **التبرعات المالية والعينية** (كالقمح، الزيت، والملابس) من المريدين تحت غطاء "الصدقة" أو "نذور الأولياء"، ثم تُرسل سرًّا إلى جيش التحرير الوطني[3].

ويشير المؤرخ **Benjamin Stora** إلى أن "السلطات الفرنسية أدركت أن الزوايا ليست أماكن عبادة فقط، بل شبكات لوجستية للثورة، فبدأت في مراقبتها ومداهمتها منذ 1957"[4].

---

[1] عبد القادر بن سعيد، *التصوّف والثورة: دراسة في الخطاب المقاوم*، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1993، ص. 107.

[2] علي معاشي، *المرأة الجزائرية في الثورة: شهادات ووثائق*، الجزائر: دار الغرب الإسلامي، 2001، ص. 145 .

[3] أحمد طالب الإبراهيمي، *ذكريات ثائر*، الجزائر: دار الحكمة، 1985، ص. 163 .

[4] Benjamin Stora, *La guerre d'Algérie: 1954–1962*, Paris: La Découverte, 2004, p. 102.

خامسا : استهداف الزوايا من قبل السلطات الاستعمارية

نظراً لأهميتها، لم تنجُ الزوايا من **القمع الاستعماري** .فقد قامت القوات الفرنسية بإغلاق العديد منها، خصوصًا في المناطق النشطة ثوريًّا (كالأوراس، معسكر، ووهران)، واعتقلت شيوخًا بتهمة "التحريض على التمرد" أو "إيواء إرهابيين."

وفي بعض الحالات، حوّلت السلطات الفرنسية الزوايا إلى ثكنات عسكرية أو مراكز اعتقال، كما حدث في زاوية **سيدي بلقاسم** بتيارت عام 1958 [1].

ورغم ذلك، استمرّت الزوايا في أداء دورها، حتى لو كان ذلك في الخفاء أو عبر نقل الأنشطة إلى المنازل المجاورة.

مما سبق ،لم تكن الزوايا خلال الثورة التحريرية الجزائرية مجرد مراكز دينية، بل **شبكات اتصال وطنية** ناجحة في ظلّ غياب وسائل الإعلام الحرة. فقد نجحت في توحيد الخطاب الروحي والسياسي، نقل الرسائل السرّية، وإيواء المجاهدين عبر شبكة ولاءات لا يمكن اختراقها بسهولة.

واليوم، يظلّ هذا الدور شاهدًا على **التفاعل العضوي بين التصوّف والهوية الوطنية** في التجربة الجزائرية، وعلى قدرة الفضاء الديني على أن يكون أداة مقاومة حين يُهدّد الوطن.

[1] محمد العيد آل خليفة، *الثورة الجزائرية: دراسة في البنية والوظيفة*، الجزائر: دار الغرب الإسلامي، 1985، ص. 211.

الفصل الثالث:

الوسائل الحديثة للاتصال أثناء الثورة التحريرية

المبحث الأول: وسائل الاتصال اللاسلكية والمراسلات

المطلب الأول: المراسلات ودورها أثناء الثورة التحريرية الجزائرية

اعتمدت جبهة التحرير على شبكة معقدة من المراسلات بين القيادة الخارجية (تونس – المغرب) والداخل (الولايات الست). وكانت تُكتب بحبر سري، أو تُخبّأ في بطانة الملابس، أو تُرسل عبر نساء وتجار .

ويروي عبد الحميد مهري:

" كانت المراسلات هي شريان الحياة بين الحكومة المؤقتة والثوار في الجبال. بدونها، كان التنسيق مستحيلاً[1]."

حيث شكّلت الثورة التحريرية الجزائرية (1954–1962) محطةً فارقة في تاريخ الجزائر الحديث، حيث اعتمدت على آليات تنظيمية واتصالية متعددة لضمان استمرارية الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي. ومن بين هذه الآليات، برزت المراسلات كوسيلة حيوية لنقل الأوامر، التنسيق بين الخلايا الثورية، جمع المعلومات الاستخباراتية، وتوحيد الخطاب السياسي والجماهيري. ولئن كانت وسائل الاتصال الحديثة شحيحة أو ممنوعة آنذاك، فإن المراسلات اليدوية – سواء عبر الرسائل المكتوبة أو الشفهية الموثّقة – لعبت دورًا محوريًا في الحفاظ على تماسك جبهة التحرير الوطني (FLN) وتنظيماتها الداخلية والخارجية.

[1] مهري، عبد الحميد، مذكرات ثوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص. 145

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أشكال المراسلات المستخدمة، وآليات تأمينها، وأهميتها التنظيمية والاستراتيجية، مع تحليل أمثلة وثائقية من المراسلات التاريخية التي ساهمت في توجيه مسار الثورة.

أولاً: أشكال المراسلات خلال الثورة التحريرية

1. المراسلات المكتوبة

كانت الرسائل المكتوبة تُعد الوسيلة الأساسية للتواصل بين قيادات جبهة التحرير الوطني داخل الجزائر وخارجها. وقد اعتمدت هذه المراسلات على أساليب تشفير وتدوين خاصة لتفادي كشفها من قبل القوات الفرنسية. ومن أبرز أنواعها:

1.المراسلات الداخلية: بين القادة الميدانيين والخلايا المحلية.

المراسلات الخارجية: بين القيادة السياسية في الخارج (كالقاهرة وتونس) والقيادة العسكرية داخل التراب الجزائري.[1]

2. المراسلات الشفهية (الشفوية الموثّقة)

في المناطق التي كان فيها الخطر كبيرًا على نقل الرسائل المكتوبة، لجأ الثوار إلى استخدام المراسلين الأشخاص الذين يحفظون الرسائل عن ظهر قلب، ثم ينقلونها شفهيًا إلى الجهة المقصودة. وكان هؤلاء المراسلون غالبًا من النساء أو الأطفال، نظرًا لقلة الاشتباه بهم من طرف الجيش الفرنسي.[2]

[1] بن يوسف بن خدة، الثورة الجزائرية: من الكفاح المسلح إلى الاستقلال، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ص 112.

[2] جميلة بوباشا، الذاكرة الحية للثورة الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص 78.

ثانيًا: آليات تأمين المراسلات وحمايتها

1. التشفير والرموز

استخدمت جبهة التحرير الوطني تقنيات تشفير مبسطة لكنها فعّالة، مثل:

استبدال الأسماء بأرقام أو أسماء رمزية (مثل "الأخضر" لعبد الحفيظ بوعلي).

استخدام لغة مزدوجة المعنى (كالكلمات العامية التي تحمل دلالات سياسية).

كتابة الرسائل على ورق شفاف أو باستخدام حبر سري يظهر فقط عند التعرض للحرارة.[1]

2. شبكات المراسلة السرية

أنشأت جبهة التحرير شبكة واسعة من "المراسلين السريين" الذين يعملون كحلقة وصل بين المناطق. وكانت هذه الشبكات تُدار من طرف "لجنة الاتصال" التابعة للقيادة الثورية.[2]

ثالثًا: أهمية المراسلات في إدارة الثورة

1. التنسيق بين الجبهات الداخلية والخارجية

سمحت المراسلات بتوحيد الرؤية بين القيادة السياسية في الخارج (مثل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية GPRA) والقيادة العسكرية داخل الجزائر (مثل الولاية التاريخية الرابعة). وقد ساهمت في اتخاذ قرارات استراتيجية مثل إطلاق الهجوم على الحدود (1958) أو الدعوة إلى إضراب الثمانية أيام (1957).[3]

[1] محمد حرشو، الاتصال في الثورة الجزائرية: بين السرية والفعالية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 24، جامعة الجزائر، 2007، ص 45.

[2] أنيس رحموني، التنظيمات الثورية في الجزائر 1954–1962، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010، ص 167.

[3] عبد الحميد مهري، مذكرات عبد الحميد مهري: من الثورة إلى الدولة، دار ميم، الجزائر، 2004، ص 203.

2. جمع المعلومات الاستخباراتية

استُخدمت المراسلات أيضًا لنقل معلومات عن تحركات الجيش الفرنسي، مواقع الثكنات، وأسماء العملاء. وكانت هذه المعلومات تُرسل إلى القيادة المركزية لاتخاذ قرارات عسكرية دقيقة.[1]

لقد كانت المراسلات خلال الثورة التحريرية الجزائرية أكثر من مجرد وسيلة اتصال؛ بل كانت شريان الحياة الذي حافظ على وحدة الحركة الثورية في وجه حصار استعماري مشدد. وقد نجح الثوار في تطوير آليات ذكية لتأمين هذه المراسلات، مستفيدين من البساطة والذكاء المحلي أكثر من التكنولوجيا. ومن خلال تحليل المصادر التاريخية والشهادات الحية، يتضح أن غياب هذه الشبكة الاتصالية كان سيُفقِد الثورة تماسكها التنظيمي وقدرتها على الاستمرار.

وبالتالي، فإن دراسة المراسلات لا تُعدّ فقط فصلاً من فصول التاريخ العسكري، بل هي أيضًا شهادة على إبداع الشعب الجزائري في مقاومة الاستعمار بكل الوسائل المتاحة.

المطلب الثاني: وسائل الاتصال اللاسلكية وأهم منجزاتها

رغم ندرتها، استخدمت FLN أجهزة لاسلكية بسيطة (مثل جهاز "TRS 600") للتواصل بين المناطق العسكرية. وقد ساعدت هذه الوسائل في تنسيق هجمات مثل هجوم 20 أغسطس 1955. ويشير جيلبير مارتيني إلى أن:

" الثوار تعلّموا استخدام اللاسلكي في معسكرات التدريب بتونس، ونقلوا المهارة إلى الداخل عبر مندوبين متخصصين[2]."

[1] علي كافي، شهادة على الثورة، دار البصائر، الجزائر، 1997، ص 89.

[2] Martin, Gilbert, La guerre d'Algérie et les moyens de communication, Éditions du Seuil, Paris, 1982, p. 118

في ظل الظروف الاستثنائية التي فرضها الاستعمار الفرنسي على الجزائر خلال حرب التحرير (1954–1962)، برزت الحاجة الملحة إلى وسائل اتصال فعّالة تُمكّن جبهة التحرير الوطني (FLN) من التنسيق بين قياداتها الداخلية والخارجية، ونقل الأوامر العسكرية، وجمع المعلومات الاستخباراتية، ومواجهة الحصار الإعلامي والتقني المفروض. ومن بين هذه الوسائل، لعبت الاتصالات اللاسلكية (اللاسلكي أو الراديو) دورًا محوريًا، رغم محدودية الإمكانيات التقنية وصعوبة التموين.

فقد نجح الثوار، بمساعدة الدول الصديقة وذكاء الكوادر التقنية الجزائرية، في تأمين أجهزة لاسلكية، وتشغيل محطات إذاعية سرية، بل وفك شفرات العدو أحيانًا.

وسنهدف إلى تسليط الضوء على تطور استخدام الاتصالات اللاسلكية خلال الثورة، وأهم المحطات والمنجزات المرتبطة بها، مع الاعتماد على مصادر أرشيفية وشهادات مباشرة من قادة ومهندسي الاتصال في جيش التحرير الوطني.

أولاً: بدايات استخدام الاتصال اللاسلكي في الثورة

1. الاعتماد الأولي على وسائل بدائية

في السنوات الأولى من الثورة (1954–1956)، افتقر جيش التحرير الوطني إلى أي أجهزة لاسلكية حديثة، واعتمد على المراسلين الأشخاص والرسائل المكتوبة. لكن مع توسع رقعة الكفاح وتشتت القيادات، برزت الحاجة الملحة إلى وسيلة اتصال فورية. [1]

[1] محمد حرشو، الاتصال في الثورة الجزائرية: بين السرية والفعالية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 24، جامعة الجزائر، 2007، ص 52.

2. الدعم الخارجي ووصول الأجهزة

لعبت الدول الداعمة للثورة – خصوصًا مصر وتونس والمغرب والصين والاتحاد السوفيتي – دورًا حاسمًا في تزويد الثوار بأجهزة لاسلكية. وقد تم تهريب هذه الأجهزة عبر طرق سرية، أو إدخالها ضمن شحنات إنسانية.[1]

ثانيًا: تطوير شبكة الاتصال اللاسلكي داخل جيش التحرير

1. إنشاء وحدات متخصصة في الاتصالات

في سنة 1957، أنشأت القيادة العامة لجيش التحرير الوطني مديرية الاتصالات، وكلّفت مهندسين جزائريين – بعضهم تخرّج في فرنسا أو تلقى تدريبًا في مصر – بإدارة الشبكة اللاسلكية.[2]

2. استخدام التشفير والترددات المتغيرة

لتفادي اعتراض الرسائل من قبل الجيش الفرنسي، طوّر فنيو جيش التحرير أنظمة تشفير بسيطة تعتمد على رموز رقمية وأسماء مستعارة، كما غيّروا ترددات البث بشكل دوري.[3]

ثالثًا: أهم المنجزات المرتبطة بالاتصال اللاسلكي

1. الإذاعة الصوتية للثورة (صوت الجزائر الحرة)

في 31 ديسمبر 1956، أطلقت جبهة التحرير الوطني أول بث إذاعي لاسلكي من القاهرة تحت اسم "صوت الجزائر الحرة"، ليصبح صوتًا رسميًا للثورة، يبث البيانات، الأخبار، والخطابات السياسية.[4]

---

[1] عبد الحميد مهري، مذكرات عبد الحميد مهري: من الثورة إلى الدولة، دار ميم، الجزائر، 2004، ص 189.

[2] أنيس رحموني، التنظيمات الثورية في الجزائر 1954–1962، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010، ص 203.

[3] علي كافي، شهادة على الثورة، دار البصائر، الجزائر، 1997، ص 112.

[4] بن يوسف بن خدة، الثورة الجزائرية: من الكفاح المسلح إلى الاستقلال، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ص 145.

2. تنسيق الهجمات الكبرى

ساهم الاتصال اللاسلكي في تنسيق عمليات عسكرية كبرى، أبرزها:

هجوم الشمال القسنطيني (يناير 1958): حيث تمت بين ثلاث ولايات عبر الراديو.

هجوم الحدود (أكتوبر 1958): الذي تطلّب تنسيقًا دقيقًا بين القوات داخل الجزائر وقواعد التموين في تونس والمغرب.[1]

3. الاتصال مع الوفد المفاوض

خلال مفاوضات إيفيان (1962)، استخدم وفد جبهة التحرير الوطني أجهزة لاسلكية متطورة للاتصال الفوري مع القيادة العسكرية في الداخل، مما مكّنه من اتخاذ قرارات مرنة دون انتظار البريد أو المراسلين.[2]

رابعًا: التحديات والمخاطر

رغم أهميتها، واجهت الاتصالات اللاسلكية تحديات كبيرة:

- اعتراض الإشارات: حيث طوّر الجيش الفرنسي وحدات خاصة (مثل "Groupe de Liaison Interarmées") لرصد واعتراض البث الثوري.
- التنقّل الصعب: نظرًا لضخامة الأجهزة وحاجتها إلى بطاريات، كان نقلها في الجبال خطرًا كبيرًا.
- الخيانة والاختراق: بعض المحطات تم كشفها بسبب تسريبات من عملاء.[3]

[1] محمد بن شريفة، العمليات العسكرية الكبرى في الثورة الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2001، ص 88.

[2] سعد دحلب، مفاوضات إيفيان: شهادة من الداخل، دار الحكمة، الجزائر، 1998، ص 67.

[3] جان شارل دومينيك، الحرب الإلكترونية في الجزائر 1954–1962، منشورات معهد الدراسات الأمنية، باريس، 2005، ص 134.

يمثّل استخدام وسائل الاتصال اللاسلكية خلال الثورة التحريرية الجزائرية إنجازًا تقنيًا واستراتيجيًا غير مسبوق في سياق حرب تحرير شعبية. فرغم ندرة الموارد وضخامة التحديات، نجح الثوار في بناء شبكة اتصال فعّالة ساهمت في:

توحيد الخطاب السياسي، تنسيق العمليات العسكرية، كسر الحصار الإعلامي، وتمكين القيادة من اتخاذ قرارات سريعة ودقيقة.

ويمكن القول إن الاتصال اللاسلكي لم يكن مجرد أداة تقنية، بل كان سلاحًا استراتيجيًا ساهم بشكل مباشر في انتصار الثورة. ومن خلال دراسة هذه التجربة، نكتشف كيف حوّل الجزائريون القيود إلى فرص، والبساطة إلى ذكاء مقاوم.

المبحث الثاني: إذاعة صوت الجزائر والصحافة المكتوبة

المطلب الأول: إذاعة صوت الجزائر

أُطلقت "صوت الجزائر الحرة" من القاهرة في 28 أكتوبر 1956، ثم انتقلت إلى تونس. وكانت تبثّ يوميًّا بالعربية والفرنسية والإنجليزية.

ويصف سليمان بخليل تأثيرها بقوله:

" كانت الإذاعة تُسمَع سرًّا في البيوت، وتُعيد للجزائري شعوره بالكرامة. كما كانت تُفنّد أكاذيب الصحافة الفرنسية أمام العالم[1]."

وخلال حرب التحرير الوطني الجزائري (1954–1962)، لم تقتصر المواجهة على البُعد العسكري فحسب، بل امتدّت إلى الساحة الإعلامية والسياسية، حيث سعى الاستعمار الفرنسي إلى

[1] بخليل، سليمان، الإعلام الثوري في الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص. 81

تشويه صورة الثورة وعزلها دوليًا وداخليًا. وفي المقابل، عملت جبهة التحرير الوطني (FLN) على تأسيس أدوات إعلامية فعّالة لمواجهة هذا الحصار، وكان أبرزها إذاعة "صوت الجزائر الحرة "، التي أُطلقت لاحقًا باسم "صوت الجزائر."

مثّلت هذه الإذاعة صوتًا رسميًا للثورة، ووسيلةً حيوية لنشر الخطاب السياسي، تعبئة الجماهير، كشف جرائم العدو، وتوحيد الرؤية الوطنية. وقد لعبت دورًا محوريًا في كسر الاحتكار الإعلامي الفرنسي، وبناء شرعية سياسية دولية للقضية الجزائرية.

يهدف هذا البحث إلى تتبع نشأة إذاعة "صوت الجزائر"، تطور بثّها، محتواها، وتأثيرها المحلي والدولي، مع الاعتماد على مصادر أرشيفية وشهادات مباشرة من مؤسسيها ومهندسيها.

أولاً: نشأة إذاعة "صوت الجزائر الحرة"

1- السياق التاريخي للإنشاء

في ظل الحصار الإعلامي المفروض من قبل السلطات الفرنسية، والتي كانت تسيطر على جميع وسائل الإعلام في الجزائر (كالصحف والإذاعات الرسمية)، قررت القيادة الثورية إنشاء إذاعة خاصة بها لتوصيل صوتها إلى الشعب الجزائري والعالم[1].

2- الانطلاقة الأولى من القاهرة

في 31ديسمبر 1956، أطلقت جبهة التحرير الوطني أول بث إذاعي من القاهرة تحت اسم "صوت الجزائر الحرة "، بدعم مباشر من الرئيس المصري جمال عبد الناصر، الذي وفّر الأجهزة التقنية والخبراء الفنيين[1].

[1] بن يوسف بن خدة، الثورة الجزائرية: من الكفاح المسلح إلى الاستقلال، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ص 142.

ثانيًا: تطور البث وتوسيع الشبكة

1-انتقال البث إلى تونس والمغرب

بعد توتر العلاقات مع بعض الأطراف المصرية لاحقًا، ورغبة في تقريب البث من الحدود الجزائرية، انتقلت محطة الإذاعة الرئيسية إلى تونس سنة 1958، ثم أُنشئت محطات فرعية في المغرب لتوسيع نطاق التغطية[2].

2- اللغات والبرامج

كانت الإذاعة تبث بلغات متعددة:

- العربية الفصحى (للخطابات الرسمية والتوجيهات)
- الدارجة الجزائرية (للوصول إلى الجماهير الشعبية)
- الفرنسية (للمخاطبة الدولية وتفنيد الدعاية الفرنسية)
- وأحيانًا الإنجليزية والإسبانية (خاصة في المناسبات الدولية)[3]

ثالثًا: أهم منجزات إذاعة "صوت الجزائر"

1- تعبئة الجماهير وتوحيد الخطاب الوطني

لعبت الإذاعة دورًا حاسمًا في رفع معنويات الشعب، ونشر ثقافة المقاومة. وكانت تُذيع:

- بيانات جبهة التحرير الوطني.
- أخبار الانتصارات العسكرية.

---

[1]عبد الحميد مهري، مذكرات عبد الحميد مهري: من الثورة إلى الدولة، دار ميم، الجزائر، 2004، ص 178.

[2]أنيس رحموني، التنظيمات الثورية في الجزائر 1954–1962، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010، ص 215.

[3]جميلة بوباشا، الذاكرة الحية للثورة الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص 102.

- خطابات القادة (بن بلة، بوضياف)
- قصائد وطنية وأناشيد ثورية[1].

2- التأثير الدولي وبناء الشرعية الدبلوماسية

من خلال البث بالفرنسية والإنجليزية، تمكّنت الإذاعة من إيصال معاناة الشعب الجزائري إلى الرأي العام العالمي، وفضح جرائم الجيش الفرنسي (كالتعذيب، القصف العشوائي، الاعتقالات الجماعية)[2].

3- دعم العمليات العسكرية والاستخباراتية

لم تكن الإذاعة وسيلة إعلامية فحسب، بل كانت أيضًا أداة استخباراتية. فقد استُخدمت أحيانًا لبث رسائل مشفرة موجّهة للخلايا الثورية، عبر عبارات محددة أو أسماء في النشرات[3].

رابعًا: التحديات والمواجهات

1- تشويش البث من قبل فرنسا

بذل الجيش الفرنسي جهودًا كبيرة لتشويش بث "صوت الجزائر" عبر محطات تشويش في الجزائر وجنوب فرنسا، خاصة خلال الأحداث الكبرى (كإضراب الثمانية أيام في 1957)[4].

2- الخطر الأمني على العاملين

كان العاملون في الإذاعة مهددين بالاغتيال أو الاختطاف، خاصة عند تنقلهم بين المحطات أو عند محاولة إدخال أجهزة جديدة إلى الحدود[1].

---

[1] علي كافي، شهادة على الثورة، دار البصائر، الجزائر، 1997، ص 134.

[2] محمد حرشو، "الإعلام في الثورة الجزائرية"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 26، جامعة الجزائر، 2008، ص 63.

[3] سعد دحلب، مفاوضات إيفيان: شهادة من الداخل، دار الحكمة، الجزائر، 1998، ص 72.

[4] جان شارل دومينيك، الحرب الإعلامية في الجزائر 1954–1962، منشورات معهد الدراسات الأمنية، باريس، 2005، ص 156.

مثّلت إذاعة "صوت الجزائر" – منذ أول بث لها في ليلة رأس السنة 1957 – ركيزةً أساسية في مشروع التحرير الوطني الجزائري. فلم تكن مجرد محطة إذاعية، بل كانت سلاحًا إعلاميًا وسياسيًا واستخباريًا في آنٍ واحد.

فقد نجحت في كسر الحصار الإعلامي، توحيد الصف الوطني، تعبئة الجماهير، وبناء شرعية دولية للثورة، رغم محدودية الإمكانيات وضخامة التحديات.

واليوم، وبعد الاستقلال، تواصل الإذاعة الوطنية الجزائرية – التي ورثت تراث "صوت الجزائر" – رسالتها، لكنها تبقى مدينَة لتلك المرحلة الاستثنائية التي حوّلت الموجات اللاسلكية إلى أداة تحرير .

المطلب الثاني: الصحافة المكتوبة

أصدرت FLN صحفًا مثل "الجمهورية" (تونس)، و"الإنذار" (الجزائر السرية). وكانت تحتوي على بيانات رسمية، وتحليلات سياسية، وقصص عن البطولات.

ويشير محمد لعرابة إلى أن:

" الصحافة المكتوبة كانت أداة لبناء الهوية الوطنية، وتوحيد الخطاب بين الداخل والخارج، وشرح أهداف الثورة للرأي العام الدولي[2]."

في ظل الحرب التحريرية التي خاضها الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي (1954–1962)، لم تقتصر المقاومة على البُعد العسكري فحسب، بل امتدّت إلى الساحة الفكرية والإعلامية،

[1]محمد بن شريفة، الإعلام والثورة الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2001، ص 94.

[2]لعرابة، محمد، الصحافة الجزائرية في عهد الثورة، دار الهدى، الجزائر، 2001، ص. 95.

حيث شكّلت الصحافة المكتوبة سلاحًا ناعمًا لكنه فعّال في مواجهة الدعاية الاستعمارية وتعبئة الجماهير.

رغم الحصار الأمني المشدد، وصعوبة الطباعة والتوزيع، وخطر الاعتقال أو الاغتيال، نجح مناضلو جبهة التحرير الوطني (FLN) في إصدار صحف ونشرات سرية داخل الجزائر وخارجها، حملت خطاب الثورة، وكشفت جرائم العدو، ووحّدت الرؤية الوطنية.

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على تجربة الصحافة المكتوبة خلال الثورة، من حيث نشأتها، أبرز منابرها، آليات إنتاجها وتوزيعها، وأهم منجزاتها السياسية والتعبوية، مع الاعتماد على مصادر أرشيفية وشهادات مباشرة من صحفيي الثورة.

أولاً: نشأة الصحافة الثورية وظروف إصدارها

1. السياق التاريخي والسياسي

بعد اندلاع الثورة في 1 نوفمبر 1954، سارعت السلطات الفرنسية إلى فرض رقابة صارمة على جميع وسائل الإعلام، وأغلقت الصحف الوطنية، واعتقلت الصحفيين الجزائريين. وفي هذا السياق، قررت القيادة الثورية إنشاء صحافة بديلة تُعبّر عن صوت الكفاح المسلح.[1]

2. الطباعة السرية وظروف الإنتاج

كانت الصحف تُطبع في مطابع سرية داخل الجزائر (غالبًا في القصبة بالعاصمة أو في الجبال)، أو في مطابع صديقة في تونس والمغرب ومصر. وغالبًا ما كانت تُكتب بخط اليد أو تُطبع على طابعات بدائية، وتُوزّع ليلاً عبر شبكات سرية.[1]

[1] بن يوسف بن خدة، الثورة الجزائرية: من الكفاح المسلح إلى الاستقلال، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ص 138.

ثانيًا: أبرز المنابر الصحفية للثورة

1. الصحف الصادرة داخليًا

أ. "الجمهورية"

أول صحيفة ثورية تصدر داخل الجزائر، انطلقت في مارس 1955، وكانت تُوزّع سرًّا في المدن الكبرى. تناولت أخبار المعارك، بيانات جبهة التحرير، وتحليلات سياسية.[2]

ب. "المجاهد" (الطبعة الداخلية)

رغم أن "المجاهد" بدأ كجريدة خارجية، إلا أن نسخًا منها كانت تُهرّب إلى الداخل وتُعاد طباعتها يدويًا أو عبر طابعات بدائية.[3]

2. **الصحف الصادرة خارجيًا**

أ. "المجاهد" (الطبعة الخارجية)

أُطلقت في نوفمبر 1956 من القاهرة، ثم انتقلت إلى تونس في 1958. كانت الجريدة الرسمية لجبهة التحرير الوطني، تُصدر بالعربية والفرنسية، وتُرسل إلى السفارات والمنظمات الدولية.[4]

ب. "الأنوار" و"الشعب" (إصدارات داعمة)

صدرت هذه الصحف في تونس والمغرب بدعم من الأحزاب الصديقة، وركّزت على التعبئة الشعبية ودعم القضية الجزائرية إقليميًا.[1]

---

[1] محمد بن شريفة، الإعلام والثورة الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2001، ص 72.

[2] جميلة بوباشا، الذاكرة الحية للثورة الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص 95.

[3] أنيس رحموني، التنظيمات الثورية في الجزائر 1954–1962، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010، ص 222.

[4] عبد الحميد مهري، مذكرات عبد الحميد مهري: من الثورة إلى الدولة، دار ميم، الجزائر، 2004، ص 182.

ثالثًا: آليات التوزيع والسرية

1. شبكات التوزيع السرية

اعتمدت الصحافة الثورية على شبكات منظمة من "المناضلين الموزعين"، غالبًا من النساء والطلبة، الذين ينقلون الصحف في حقائب، سلال، أو حتى مخيطات في الملابس.[2]

2. الكتابة الرمزية والتشفير

لتفادي الكشف، استخدم الصحفيون رموزًا وأسماء مستعارة، وأحياناً لغة مزدوجة المعنى. كما طُبعت بعض النشرات على ورق شفاف أو بحبر يمحى بعد قراءته.[3]

رابعًا: أهم منجزات الصحافة المكتوبة

1. بناء الوعي الوطني وتوحيد الخطاب

ساهمت الصحف في نشر فكر الثورة، تعريف الشعب بأهدافها (الاستقلال، الديمقراطية، العدالة الاجتماعية)، وربط الكفاح المسلح بالمشروع الوطني.[4]

2. التأثير الدولي وفضح جرائم الاستعمار

من خلال ترجمة المقالات إلى الفرنسية والإنجليزية، تمكّنت الصحافة الثورية من إيصال صوت الجزائر إلى الصحافة العالمية، ومنظمات حقوق الإنسان، والأمم المتحدة.[5]

---

[1]محمد حرشو، "الإعلام في الثورة الجزائرية"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 26، جامعة الجزائر، 2008، ص 68.

[2]علي كافي، شهادة على الثورة، دار البصائر، الجزائر، 1997، ص 128.

[3]سعد دحلب، مفاوضات إيفيان: شهادة من الداخل، دار الحكمة، الجزائر، 1998، ص 69.

[4]بن يوسف بن خدة، الثورة الجزائرية: من الكفاح المسلح إلى الاستقلال، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ص 141.

[5]جان شارل دومينيك، الحرب الإعلامية في الجزائر 1954–1962، منشورات معهد الدراسات الأمنية، باريس، 2005، ص 162.

3. الدعم اللوجستي والاستخباراتي

استُخدمت الصحف أحيانًا كوسيلة لنقل معلومات سرية، عبر إعلانات وهمية أو أخبار مشفرة، توجّه الخلايا الثورية لتنفيذ عمليات.[1]

لقد كانت الصحافة المكتوبة خلال الثورة التحريرية الجزائرية أكثر من مجرد وسيلة إعلامية؛ بل كانت درعًا فكريًا وسيفًا سياسيًا في مواجهة آلة الدعاية الاستعمارية.

رغم الظروف الصعبة، نجح الصحفيون والمناضلون في إنتاج صحف سرية ذات محتوى سياسي رفيع، ساهمت في توعية الشعب، توحيد الصف، وبناء شرعية دولية للثورة.

ويمثّل إرث "المجاهد" و"الجمهورية" اليوم جزءًا لا يتجزأ من الذاكرة الوطنية، وشاهدًا على أن الكلمة، حين تُكتب بدماء الحرية، تكون أقوى من الرصاص.

[1] محمد بن شريفة، الإعلام والثورة الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2001، ص 79.

المبحث الثالث: مديريات وزارة التسليح والاتصالات العامة في الثورة الجزائرية

المطلب الأول: دور مديريات وزارة التسليح والاتصالات العامة من الجانب الاتصالي

أنشأت الحكومة المؤقتة "وزارة التسليح والاتصالات العامة" في سبتمبر 1958، برئاسة عبد الحميد مهري. وكانت تضم مديريات للإعلام، الإذاعة، الصحافة، والاتصالات اللاسلكية .

ويوضح مهري أن:

" الوزارة كانت الجهة الوحيدة المخوّلة بإصدار البيانات الرسمية، وتنظيم البث الإذاعي، وتدريب الكوادر الإعلامية[1]."

في خضم حرب التحرير الوطني الجزائري (1954–1962)، لم يقتصر التنظيم الثوري على البُعد العسكري فحسب، بل شمل أيضًا إنشاء هياكل إدارية وسياسية متكاملة تحاكي مؤسسات الدولة الناشئة. ومن بين هذه الهياكل، برزت وزارة التسليح والاتصالات العامة كواحدة من أهم الوزارات في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (GPRA)، التي تأسست في سبتمبر 1958.

وقد لعبت هذه الوزارة – من خلال مديرياتها المتخصصة – دورًا محوريًا في تأمين وسائل الاتصال بين القيادات العسكرية والسياسية، وتطوير البنية التحتية الاتصالية للثورة، وضمان تدفق المعلومات في ظل الحصار الأمني والتقني المفروض من قبل الاستعمار الفرنسي.

يهدف هذا البحث إلى تحليل الدور الاتصالي لمديريات وزارة التسليح والاتصالات العامة، واستعراض أهم منجزاتها في مجال الاتصال اللاسلكي، البرقيات، الشبكات السرية، والدعم اللوجستي،

[1] مهري، عبد الحميد، الثورة الجزائرية: التنظيم والقيادة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص. 207

مع الاعتماد على مصادر أرشيفية وشهادات مباشرة من قادة ومهندسي الاتصال في جيش التحرير الوطني.

أولاً: نشأة وزارة التسليح والاتصالات العامة ووظيفتها التنظيمية

1. الإطار المؤسسي داخل الحكومة المؤقتة

تأسست الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (GPRA) في 19 سبتمبر 1958، كجناح سياسي للثورة، وضمّت عدة وزارات، من بينها وزارة التسليح والاتصالات العامة، التي عُهِدَت إليها مسؤوليتان رئيسيتان:

- تأمين الأسلحة والذخيرة.
- إدارة وسائل الاتصال بين الداخل والخارج.[1]

2. الهياكل الداخلية: مديريتا الاتصالات والتسليح

ضمت الوزارة مديريتين رئيسيتين:

- مديرية الاتصالات العامة: مسؤولة عن الشبكات اللاسلكية، البرقيات، التشفير، والإذاعة.
- مديرية التسليح: رغم تركيزها على الأسلحة، إلا أنها ساهمت في تأمين وسائل الاتصال عبر تهريب أجهزة الراديو ضمن شحنات السلاح.[2]

[1] عبد الحميد مهري، مذكرات عبد الحميد مهري: من الثورة إلى الدولة، دار ميم، الجزائر، 2004، ص 215.

[2] أنيس رحموني، التنظيمات الثورية في الجزائر 1954–1962، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010، ص 231.

ثانيًا: المهام الاتصالية لمديرية الاتصالات العامة

1. إنشاء وتشغيل شبكة اتصال لاسلكية موحدة

من أبرز إنجازات المديرية هو بناء شبكة لاسلكية تغطي الولايات الست التاريخية، وتتصل بالقيادة الخارجية في تونس والمغرب.[1]

2. تطوير أنظمة التشفير وتأمين البث

وضعت المديرية بروتوكولات صارمة للتشفير، تشمل:

- استخدام أسماء رمزية (مثل "الأخضر" لقائد الولاية الرابعة).
- تغيير الترددات يوميًا.
- تشفير الرسائل عبر جداول أرقام سرية.[2]

3. الإشراف على إذاعة "صوت الجزائر"

رغم أن الإذاعة أُطلقت قبل تأسيس GPRA، إلا أن مديرية الاتصالات العامة تولّت إدارتها فعليًا منذ 1959، ونسّقت برمجتها مع الخط السياسي للحكومة المؤقتة.[3]

[1] محمد حرشو، "الاتصال في الثورة الجزائرية: بين السرية والفعالية"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 24، جامعة الجزائر، 2007، ص 58.

[2] علي كافي، شهادة على الثورة، دار البصائر، الجزائر، 1997، ص 115.

[3] بن يوسف بن خدة، الثورة الجزائرية: من الكفاح المسلح إلى الاستقلال، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ص 147.

ثالثًا: منجزات وزارة التسليح والاتصالات العامة في مجال الاتصال

1. تأمين الاتصال خلال مفاوضات إيفيان (1962)

لعبت الوزارة دورًا حاسمًا في تمكين الوفد الجزائري من الاتصال الفوري مع القيادة العسكرية في الداخل، عبر أجهزة لاسلكية محمولة متطورة.[1]

2. تدريب الكوادر التقنية

أنشأت المديرية مراكز تدريب سرية في تونس والمغرب لتأهيل فنيي اتصال جزائريين، بالتعاون مع خبراء مصريين وصينيين.[2]

3. التنسيق مع الصحافة الثورية

نسّقت المديرية مع مكتب الإعلام في GPRA لتوفير وسائل الاتصال اللازمة لطباعة وتوزيع الصحف مثل "المجاهد"، عبر نقل النصوص من تونس إلى الداخل عبر الشبكة اللاسلكية.[3]

رابعًا: التحديات التي واجهتها المديرية

1. الحصار التقني واللوجستي

عانى فنيو الاتصال من نقص حاد في البطاريات، قطع الغيار، والأجهزة الحديثة، ما اضطرهم إلى إصلاح الأجهزة المعطوبة مرارًا.[4]

[1] سعد دحلب، مفاوضات إيفيان: شهادة من الداخل، دار الحكمة، الجزائر، 1998، ص 74.

[2] محمد بن شريفة، الإعلام والثورة الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2001، ص 85.

[3] جميلة بوباشا، الذاكرة الحية للثورة الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص 105.

[4] جان شارل دومينيك، الحرب الإلكترونية في الجزائر 1954–1962، منشورات معهد الدراسات الأمنية، باريس، 2005، ص 142.

2. مخاطر الاختراق والخيانة

تم كشف بعض المحطات بسبب تسريبات من عملاء، مما دفع المديرية إلى تغيير مواقعها باستمرار.[1]

مثّلت وزارة التسليح والاتصالات العامة، من خلال مديرياتها، العمود الفقري للاتصال في الثورة التحريرية الجزائرية. فلم تكتفِ بتأمين وسائل الاتصال فحسب، بل طوّرت آليات ذكية للتشفير، التدريب، والتنسيق مع باقي أجهزة الثورة.

ومن خلال منجزاتها – كتأمين الاتصال أثناء المفاوضات، دعم الإذاعة والصحافة، وبناء شبكة لاسلكية وطنية – ساهمت هذه الوزارة في تحويل الاتصال من وسيلة تقنية إلى أداة استراتيجية في معركة التحرير.

واليوم، يبقى إرث هذه المديرية شاهدًا على قدرة الشعب الجزائري على الابتكار في أصعب الظروف، وبناء مؤسسات دولة حتى قبل نيل الاستقلال.

المطلب الثاني: جهود وزارة التسليح والاتصالات العامة، في تنظيم الاتصال أثناء الثورة

حيث عملت الوزارة على:

- توحيد الرسائل بين الولايات.
- تدريب المراسلين والإذاعيين.
- إنشاء شبكة اتصال لاسلكية بين تونس والداخل.

[1] أنيس رحموني، التنظيمات الثورية في الجزائر 1954–1962، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010، ص 235.

ويشير أحمد طالب الإبراهيمي إلى أن:

"الوزارة حوّلت الاتصال من نشاط عفوي إلى مؤسسة منظمة، مما رفع من فعالية الخطاب الثوري[1]."

في مسار الثورة التحريرية الجزائرية (1954–1962)، برزت الحاجة الملحة إلى هيكلة تنظيمية قادرة على إدارة شؤون الكفاح الوطني على المستويين العسكري والسياسي. ومن بين أبرز المؤسسات التي نشأت في هذا السياق، تأتي وزارة التسليح والاتصالات العامة، التي أُنشئت رسميًا في إطار الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (GPRA) في سبتمبر 1958.

وإذا كانت الوزارة قد عُرفت باسمها الذي يجمع بين "التسليح" و"الاتصالات"، فإن وظيفتها لم تقتصر على تأمين الأسلحة فحسب، بل امتدّت إلى بناء منظومة اتصال متكاملة تربط القيادة السياسية في الخارج بالقيادة العسكرية في الداخل، وتُمكّن من توجيه الكفاح وتنسيق العمليات في ظل حصار استعماري مشدد.

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على جهود وزارة التسليح والاتصالات العامة في تنظيم الاتصال خلال الثورة، من خلال دراسة هيكليتها التنظيمية، آليات عملها، شبكاتها الاتصالية، وأبرز إنجازاتها، مع الاعتماد على مصادر أرشيفية وشهادات مباشرة من قادة ومهندسي الاتصال في جيش التحرير الوطني.

[1] الإبراهيمي، أحمد طالب، مذكرات ثوري جزائري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص. 170

أولاً: الإطار المؤسسي لوزارة التسليح والاتصالات العامة

1. النشأة والاندماج في هيكل الحكومة المؤقتة

تأسست وزارة التسليح والاتصالات العامة كجزء لا يتجزأ من الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (GPRA)، التي أُعلنت في 19 سبتمبر 1958 في القاهرة، ثم انتقل مقرها لاحقًا إلى تونس. وقد عُيّن عبد الحفيظ بوصوف أول وزير لها، ثم خلفه عبد الحميد مهري، ثم محمد بوضياف.[1]

2. الهياكل التنظيمية الداخلية

ضمت الوزارة مديريتين رئيسيتين:

- مديرية التسليح: مسؤولة عن استيراد الأسلحة وتخزينها وتوزيعها.
- مديرية الاتصالات العامة: مكلّفة بتنظيم جميع وسائل الاتصال (لاسلكي، بريدي، إذاعي، تشفير).[2]

ثانيًا: آليات تنظيم الاتصال من قبل الوزارة

1. توحيد شبكة الاتصال الوطنية

من أولى مهام الوزارة بعد تأسيسها كان توحيد الشبكات الاتصالية المبعثرة التي كانت تعمل بشكل منفصل في الولايات التاريخية الست. فأنشأت محطة اتصال مركزية في تونس، وربطتها بمحطات فرعية في كل ولاية.[3]

[1] عبد الحميد مهري، مذكرات عبد الحميد مهري: من الثورة إلى الدولة، دار ميم، الجزائر، 2004، ص 212.

[2] أنيس رحموني، التنظيمات الثورية في الجزائر 1954–1962، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010، ص 229.

[3] محمد حرشو، "الاتصال في الثورة الجزائرية: بين السرية والفعالية"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 24، جامعة الجزائر، 2007، ص 60.

2. اعتماد بروتوكولات أمنية صارمة

لضمان سرية الاتصال، وضعت الوزارة سلسلة من القواعد، منها:

- تغيير كلمات المرور اليومية،
- استخدام أسماء رمزية ثابتة (مثل "النسر" للقيادة العامة)،
- حظر ذكر الأسماء الحقيقية أو المواقع الجغرافية في الرسائل.[1]

3. التنقل الدائم للمحطات الاتصالية

لتفادي كشف المحطات من قبل الجيش الفرنسي، اعتمدت الوزارة سياسة "التنقّل الدائم"، حيث تُنقل المحطات اللاسلكية كل 48 إلى 72 ساعة، خاصة في المناطق القريبة من الحدود.[2]

ثالثًا: أبرز إنجازات الوزارة في مجال الاتصال

1. تأمين الاتصال خلال العمليات العسكرية الكبرى

ساهمت شبكة الاتصال التي نظّمتها الوزارة في نجاح عمليات استراتيجية، أبرزها:

- هجوم الشمال القسنطيني (يناير 1958)،
- هجوم الحدود (أكتوبر 1958)،
- إضراب الثمانية أيام (يناير 1957) – رغم أنه سبق تأسيس الوزارة، إلا أن الدروس المستفادة منه دفعت إلى تطوير الشبكة لاحقًا.[3]

---

[1] علي كافي، شهادة على الثورة، دار البصائر، الجزائر، 1997، ص 117.

[2] محمد بن شريفة، الإعلام والثورة الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2001، ص 87.

[3] بن يوسف بن خدة، الثورة الجزائرية: من الكفاح المسلح إلى الاستقلال، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ص 152.

–

2. دعم الإذاعة والصحافة الثورية

نسّقت الوزارة مع مكتب الإعلام في GPRA لتوفير وسائل الاتصال اللازمة لنقل النصوص من تونس إلى الداخل، ولتشغيل إذاعة "صوت الجزائر" بشكل منتظم.[1]

3. الاتصال الفعّال خلال مفاوضات إيفيان (1962)

من أبرز إنجازات الوزارة كان تأمين قناة اتصال لاسلكية مباشرة بين وفد المفاوضات في إيفيان والقيادة العسكرية في تونس، مما مكّن الوفد من اتخاذ قرارات مرنة ودقيقة.[2]

رابعًا: التحديات التي واجهتها الوزارة في تنظيم الاتصال

1. نقص الإمكانيات التقنية

عانى فنيو الوزارة من شحّ في البطاريات، قطع الغيار، والأجهزة الحديثة، ما اضطرهم إلى إصلاح الأجهزة المعطوبة مرارًا، أو استخدام أجهزة قديمة من الحرب العالمية الثانية.[3]

2. مخاطر الاختراق والخيانة

تم كشف بعض المحطات بسبب تسريبات من عملاء، مما دفع الوزارة إلى تشديد إجراءات التحقق من هوية المرسلين والمستقبلين.[4]

[1] جميلة بوباشا، الذاكرة الحية للثورة الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص 107.

[2] سعد دحلب، مفاوضات إيفيان: شهادة من الداخل، دار الحكمة، الجزائر، 1998، ص 76.

[3] جان شارل دومينيك، الحرب الإلكترونية في الجزائر 1954–1962، منشورات معهد الدراسات الأمنية، باريس، 2005، ص 145.

[4] أنيس رحموني، التنظيمات الثورية في الجزائر 1954–1962، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010، ص 237.

مثّلت جهود وزارة التسليح والاتصالات العامة في تنظيم الاتصال خلال الثورة التحريرية الجزائرية نموذجًا فريدًا لبناء مؤسسة دولة في ظل الحرب. فلم تكتفِ الوزارة بتأمين وسائل الاتصال، بل طوّرت منظومة متكاملة تعتمد على السرية، المرونة، والتنسيق الدقيق.

ومن خلال توحيد الشبكات، تدريب الكوادر، ودعم الإعلام الثوري، ساهمت الوزارة في تحويل الاتصال من وسيلة تقنية إلى ركيزة استراتيجية في معركة التحرير.

واليوم، يبقى هذا الإرث شاهدًا على أن التنظيم، حتى في أحلك الظروف، يمكن أن يكون سلاحًا أقوى من الرصاص.

الخاتمة

الخاتمة.

وفي الختام، تهدف هذه المذكرة إلى تحليل وظائف الاتصال خلال الثورة التحريرية الجزائرية (1954–1962) من خلال دراسة التفاعل بين الوسائل التقليدية والحديثة، وفهم كيف ساهمت هذه الوسائل في أداء وظائف اتصالية محورية مثل التعبئة، التوجيه، التوحيد، والتمثيل الوطني والدولي.

وقد سعت أيضًا إلى تبيّن الإطار النظري للإعلام الثوري، واستعراض دور المؤسسات التنظيمية لا سيما وزارة التسليح والاتصالات العامة – في توحيد وتنظيم جهود الاتصال ضمن مشروع تحرري متكامل.

وقد تبيّن من خلال التحليل أن الثورة الجزائرية لم تعتمد على السلاح وحده، بل بنت نسيجًا اتصاليًّا مزدوج البُعد: تقليدي يرتكز على الشعر، الأغنية، المساجد، والزوايا، وحديث يشمل المراسلات، اللاسلكي، الإذاعة، والصحافة. وقد نجحت هذه الوسائل، رغم محدودية إمكانياتها، في تشكيل وعي جماعي، توحيد الخطاب الوطني، ونقل صوت الثورة إلى المحافل الدولية. كما أظهرت الدراسة أن وزارة التسليح والاتصالات العامة لعبت دورًا محوريًّا في تحويل الاتصال من نشاط عفوي إلى مؤسسة منظمة، ما عزّز فعالية التنسيق العسكري والسياسي، ورفع من قدرة الثورة على الصمود في وجه آلة القمع الاستعمارية.

ومن أبرز الاستنتاجات أن الاتصال كان سلاحًا استراتيجيًّا لا يقل أهمية عن البندقية، وأن الذكاء الاتصالي للثوار المتمثل في استخدام الرموز، التشفير، والتنقّل الدائم للمحطات – شكّل نموذجًا فريدًا في تاريخ الحروب التحررية. كما أن الجمع بين البُعدين الديني والشعبي من جهة، والتقني والمؤسسي من جهة أخرى، أتاح للثورة أن تخترق جميع طبقات المجتمع، من الجبل إلى المدينة، ومن الطفل إلى العجوز.

إن هذه الدراسة تضيف قيمة معرفية مهمة من خلال ربط الأبعاد الثقافية بالهياكل التنظيمية في سياق مقاومة استعمارية، وهو ما يُغني المباحث الأكاديمية في تاريخ الإعلام، الاتصال السياسي، ودراسات المقاومة. كما تُظهر أن فهم النضال الوطني لا يمكن أن يُختزل في البُعد العسكري، بل يجب أن يُنظر إليه كمنظومة اتصالية متكاملة.

وفي اطار الاهتمام بالذاكرة الوطنية تدرج هذه النقاط :

- توثيق الذاكرة الشفهية للاتصال الثوري قبل اندثارها،
- استكشاف دور المرأة بشكل أعمق في شبكات الاتصال السرية،
- دراسة تأثير الخطاب الاتصالي الجزائري على الرأي العام الفرنسي والدولي باستخدام مصادر أرشيفية غير مستغلة.

كما تدعو المؤسسات الوطنية إلى إدراج هذا الإرث الاتصالي في المناهج التعليمية، باعتباره مكونًا جوهريًّا من مكونات الهوية الوطنية.

ويمكن تطوير هذه الدراسة مستقبلاً من خلال مقارنات مع تجارب تحررية أخرى (كفيتنام، فيتنام، أو جنوب إفريقيا)، أو عبر استخدام تقنيات رقمية لتحليل محتوى الصحف والإذاعات الثورية. ولا تزال أسئلة جوهرية بحاجة إلى إجابة، مثل: كيف تم تمويل شبكات الاتصال؟ وما هي الآليات الدقيقة لاختيار المراسلين والمذيعين؟

و الخلاصةً، فإن الثورة الجزائرية تبقى شاهدًا حيًّا على أن الأمة التي تُتقن لغة الكلمة لا تُهزم برصاص السلاح، وأن الاتصال، حين يُوظّف بإيمان وذكاء، يصبح جسرًا بين الحلم والاستقلال.

قائمة المصادر والمراجع

- **أولا :القران الكريم:**

- سورة الأنفال، الآية 60.

- **ثانيا : المراجع باللغة العربية**

- الإبراهيمي، أحمد طالب، مذكرات ثوري جزائري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.
- ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط. 1، 1994، ج. 12.
- إليهو كاتز وباول لازارسفيلد، التأثير الشخصي: دور القادة الرأي في تدفق الاتصال الجماهيري، نيويورك: دار نشر جامعة كولومبيا، 1955.
- أنيس رحموني، التنظيمات الثورية في الجزائر 1954–1962، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010
- أوليفييه بوفيه، الثورة الجزائرية والإعلام: بين السرّ والعلن، ترجمة: فاطمة الزهراء قاسمي، باريس: مطبوعات السوربون، 2005.
- إيفان لازارسفيلد وباتريشيا كانديل، الاتصال الجماهيري والرأي العام، ترجمة: سمير مروة، القاهرة: دار المعارف، 1968.
- إيليوت كاتز وجاي جي. بلامر، "البحث عن الاشباعات: مقدمة نقدية"، مجلة الاتصال العام، المجلد 19، العدد 2 (1974.
- بخليل، سليمان، الإعلام الثوري في الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.
- بن خليفة، عبد القادر، "الموسيقى والثورة في الجزائر"، مجلة التاريخ والذاكرة، العدد 12، مركز الدراسات والبحوث حول الحركة الوطنية، الجزائر، 2010.
- بن يوسف بن خدة، الثورة الجزائرية: من الكفاح المسلح إلى الاستقلال، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989.
- بندكت أندرسون، الجماعات المتخيلة: أصول الفكر القومي، ترجمة: سمير كرم، بيروت: دار التنوير، 2016.
- بولا لازارسفيلد وبرتون برلسون وهاري غوديت، الناس الذين يؤثرون في الناس، ترجمة: عبد الله العروي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1975.
- توماس شيلينغ، استراتيجية الصراع، ترجمة: عبد الله العروي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1970.
- جاكوب لانداو، الإعلام من أجل السلام: تجارب عالمية، ترجمة: فاطمة الزهراء قاسمي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008.

- جان شارل دومينيك، الحرب الإعلامية في الجزائر 1954–1962، منشورات معهد الدراسات الأمنية، باريس، 2005.
- جاي جي. بلامر، الاستخدامات والاشباعات: مدخل لفهم سلوك الجمهور الإعلامي، ترجمة: فاطمة الزهراء قاسمي، بيروت: دار الساقي، 1981.
- جمال الدين بن الشيخ، "الأغنية الثورية ووظيفتها التعبوية"، مجلة التاريخ والذاكرة، العدد 14 (2006).
- جميلة بوباشا، الذاكرة الحية للثورة الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر، 2003.
- جورج غيرب وآخرون، "الغرس والتمثيل الاجتماعي: تحليل محتوى التلفزيون"، في كتاب الاتصال الجماهيري والثقافة، تحرير: مايكل مورغان، نيويورك: دار نشر جامعة بنسلفانيا، 1993.
- جون بول ليدر، الاتصال من أجل السلام: دراسات في حلّ النزاعات عبر الحوار، لندن: دار نشر جامعة أكسفورد، 2007.
- جيرالد كابلين، الإعلام والعنف العرقي: حالة رواندا 1994، مجلة الاتصال الدولي، المجلد 22، العدد 3 (1998).
- جيمس كاري، الاتصال كثقافة: كتابات حول الإعلام والمجتمع، ترجمة: هاشم صالح، بيروت: دار الساقي، 2003، ص. 68.
- حراث، محمد، الثقافة الشعبية في الثورة الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2008.
- دينيس ماكويل، McQuail's Mass Communication Theory، لندن : SAGE Publications، ط. 6، 2010.
- دينيس ماكويل، نظريات الاتصال الجماهيري، ترجمة: محمد عبد الحليم عبد الله، بيروت: دار الطليعة، ط. 3، 1987.
- روبرت إنتمان، "الإطار في سياقات النزاع: تحليل مقارن للتغطية الإعلامية"،مجلة الاتصال السياسي، المجلد 28، العدد 2 (2004).
- روبرت إنتمان، "تأطير: نحو توضيح للغموض"، مجلة الاتصال السياسي، المجلد 19، العدد 1 (1993).
- روبرت ج. ليندنر، الدعاية والحرب النفسية: دراسة في تأثير الإعلام على السلوك الجماعي، ترجمة: سمير عوض، بيروت: دار الطليعة، 1972.
- روجيه شارتييه، الثقافة الشعبية في فرنسا القديمة: بين الاتصال والمقاومة، ترجمة: جورج زيناتي، بيروت: دار الطليعة، 1987.

- روجيه شارتييه، الثورة الفرنسية وثقافة الطباعة، ترجمة: جورج زيناتي، بيروت: دار الطليعة، 1990.
- ريجيس دوبريه، الثورة والاتصال: مقدمة في نظرية الوسيط، ترجمة: سمير مروة، بيروت: دار الساقي، 1994.
- زينب عبد العزيز، الإعلام الرقمي والثورات العربية: دراسة في سوسيولوجيا الاتصال، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2014.
- سعد دحلب، مفاوضات إيفيان: شهادة من الداخل، دار الحكمة، الجزائر، 1998، ص 67.
- طه عبد الرحمن، الإعلام والتأطير: دراسة في الخطاب السياسي العربي، الرباط: دار الأمان، 2010.
- عبد الحفيظ بن شريف، الذاكرة الشفهية للثورة الجزائرية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر، 1995.
- عبد الحميد مهري، مذكرات عبد الحميد مهري: من الثورة إلى الدولة، دار ميم، الجزائر، 2004.
- عبد القادر بن سعيد، التراث الشعبي والثورة: دراسة في الخطاب المقاوم، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1992.
- عبد القادر بن سعيد، التراث الغنائي والثورة: دراسة في الخطاب المقاوم، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1994.
- عبد القادر بن سعيد، التصوّف والثورة: دراسة في الخطاب المقاوم، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1993.
- القادر بن سعيد، الحركة الإصلاحية والثورة: دراسة في التفاعل التاريخي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990.
- عبد الوهاب المسيري، موسوعة العنف الصهيوني: الإعلام كأداة حرب نفسية، القاهرة: دار الشروق، 2003، ج. 1.
- علي كافي، شهادة على الثورة، دار البصائر، الجزائر، 1997.
- علي معاشي، المرأة الجزائرية في الثورة: شهادات ووثائق، الجزائر: دار الغرب الإسلامي، 2001.
- عمار، محمد، الدين والثورة في الجزائر، دار الحكمة، الجزائر، 1995.
- فاطمة العقاد، أغاني الثورة: شهادات شفهية من الجبال، تجميع: عبد الحفيظ بن شريف، الجزائر: دار الحقيقة، 1998.
- فرانز فانون، معذّبو الأرض، ترجمة: سمير عوض، بيروت: دار الطليعة، 1968.

- فيليبا رودريغيز، "الاتصال الرقمي والعنف الطائفي: حالة ميانمار"، مجلة الاتصال الدولي، المجلد 41، العدد 4 (2018).
- كارسلي، عمر، "الزوايا والثورة التحريرية"، مجلة الدراسات الجزائرية، العدد 23، جامعة الجزائر، 2007.
- لعرابة، محمد، الصحافة الجزائرية في عهد الثورة، دار الهدى، الجزائر، 2001.
- ماري مكغوان ديفيدسون، الاتصال والتحول الديمقراطي في مناطق النزاع، واشنطن: معهد السلام الأمريكي، 2003.
- ماكسويل ماكومبس ودونالد شو، "وظيفة جدول الأعمال للإعلام الجماهيري"، مجلة الاتصال العام، المجلد 17، العدد 1 (1972).
- مالك بن نبي، مذكرات شاهد للعصر، ترجمة: عبد القادر بن سعيد، بيروت: دار الفكر، 1983.
- مايكل جيه. كولت، الاتصال في سياقات النزاع: استراتيجيات للتفاهم المتبادل، ترجمة: ليلى عبد الرحمن، بيروت: دار الساقي،2005.
- محمد الصالح عباس، الأغنية الشعبية في الثورة الجزائرية، بيروت: دار الطليعة، 1978.
- محمد الصالح عباس، الحركة الوطنية الجزائرية: من الإصلاح إلى الثورة، بيروت: دار الطليعة، 1976.
- محمد العيد آل خليفة، الثورة الجزائرية: دراسة في البنية والوظيفة، الجزائر: دار الغرب الإسلامي، 1985.
- محمد العيد آل خليفة، الفن الشعبي والثورة، الجزائر: دار الغرب الإسلامي، 1987.
- محمد الهادي شريفي، الإعلام في الثورة الجزائرية: دراسة في الخطاب والوظيفة، الجزائر: دار الغرب الإسلامي، 2008.
- محمد بن شريفة، الإعلام والثورة الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2001.
- محمد بن شريفة، العمليات العسكرية الكبرى في الثورة الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2001.
- محمد حرشو، "الاتصال في الثورة الجزائرية: بين السرية والفعالية"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 24، جامعة الجزائر، 2007.
- محمد حرشو، "الإعلام في الثورة الجزائرية"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 26، جامعة الجزائر، 2008.
- مهري، عبد الحميد، الثورة الجزائرية: التنظيم والقيادة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.
- مهري، عبد الحميد، مذكرات ثوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.

- هابرماس، يورغن، الفضاء العمومي النقدي: تحولات المجال السياسي في المجتمع البرجوازي، ترجمة: نبيل علي، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2011.
- هارولد دي لا سويل، نظرية الاتصال: من الفعل إلى المعنى، ترجمة:عبد الإله بلقزيز، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1992.
- هارولد لاسويل، الدعاية في الحرب والسلام، ترجمة: محمد عبد الحليم عبد الله، بيروت: دار الطليعة، 1968.
- هربرت كيلمان، "العمليات النفسية في حلّ النزاعات الدولية"، مجلة الدراسات السياسية، المجلد 45، العدد 1 (2002).

- **المراجع باللغة الفرنسية**

- Benjamin Stora, La guerre d'Algérie: 1954–1962, Paris: La Découverte, 2004
- Charles-Robert Ageron, Histoire de l'Algérie contemporaine: La décolonisation, Paris: Presses Universitaires de France, 1979,
- Gilbert Meynier, Histoire intérieure du FLN: 1954–1962, Paris: Fayard, 2002,
- Martin, Gilbert, La guerre d'Algérie et les moyens de communication, Éditions du Seuil, Paris, 1982,

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

الشكر

الاهداء

خطة البحث

المقدمة .....2.....

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للاتصال والإعلام الثوري

المبحث الأول: مفاهيم الاتصال والإعلام الثوري .....7.....

المطلب الأول: مفهوم الاتصال لغويًّا واصطلاحيًّا .....7.....

المطلب الثاني: ماهية الإعلام الثوري .....8.....

المبحث الثاني: نظريات الاتصال الجماهيري أثناء النزاعات .....11.....

المطلب الأول: نظريات الاتصال الجماهيري .....11.....

المطلب الثاني: نظريات الاتصال في النزاعات .....15.....

الفصل الثاني: أهم وسائل الاتصال التقليدية أثناء الثورة التحريرية

المبحث الأول: الشعر الشعبي والأغنية البدوية كأدوات للتعبئة أثناء الثورة التحريرية .....23.....

المطلب الأول: الشعر الشعبي كأدات للتعبئة أثناء الثورة التحريرية .....23.....

المطلب الثاني: الأغنية الثورية .....27.....

المبحث الثاني: دور المساجد والزوايا كوسائل اتصال للثورة التحريرية .....31.....

المطلب الأول: دور المساجد كوسيلة اتصال للثورة التحريرية .....31.....

المطلب الثاني: دور الزوايا .....35.....

الفصل الثالث: الوسائل الحديثة للاتصال أثناء الثورة التحريرية

المبحث الأول: وسائل الاتصال اللاسلكية والمراسلات .....40.....

المطلب الأول: المراسلات ودورها أثناء الثورة التحريرية الجزائرية .....40.....

المطلب الثاني: وسائل الاتصال اللاسلكية وأهم منجزاتها .....43.....

المبحث الثاني: إذاعة صوت الجزائر والصحافة المكتوبة .....47.....

المطلب الأول: إذاعة صوت الجزائر .....47.....

المطلب الثاني: الصحافة المكتوبة .....51.....

المبحث الثالث: مديريات وزارة التسليح والاتصالات العامة في الثورة الجزائرية 56

المطلب الأول: دور مديريات وزارة التسليح والاتصالات العامة من الجانب الاتصالي 56

المطلب الثاني: جهود وزارة التسليح والاتصالات العامة، في تنظيم الاتصال أثناء الثورة 60

الخاتمة. .....66.....

قائمة المصادر و المراجع 69

فهرس المحتويات .....75.....